المجلس العلمي المحلي
بجهة الدار البيضاء الكبرى

منشورات المجلس العلمي (1)
سلسلة الأبحاث والدراسات (1)

خطبة الجمعة

المنهج والمقاصد
في ضوء الكتاب والسنة

إعداد
المجلس العلمي المحلي بالدار البيضاء

رضوان بنشقرون

الكتـــاب : خطبة الجمعة
سلسلـــة : الأبحاث والدّراسات (1)
منشـورات : المجلس العلمي (1)
الطبعـــة : : الثانية 1426-2005
الحقـــوق : © جميع الحقوق محفوظة
الطبـــع : مطبعة النجاح الجديدة ـ الدارالبيضاء
الإيـــداع : القانوني رقم 2005/627

المقدمة

المقدمة

الحمد لله العلي العظيم، الحمد لله الحليم الكريم، الحمد لله رب السموات ورب الأرض رب العرش العظيم. أحمده سبحانه وتعالى وأشكره، وأستعينه وأستهديه وأستغفره، وأومن به وأتوكل عليه، وأثني عليه بما هو أهله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فرض الفرائض ونهى عن تضييعها، وحد حدودا وحذر من تعديها، وسكت عن أشياء من غيرنسيان رحمة بنا ؛ فسبحانه من رب رحيم ودود، فعال لما يريد. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، بعثه الله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ؛ فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله صابرا محتسبا حتى أتاه اليقين. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، وعلى من اقتفى أثرهم واتبع سبيلهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن من أهم وسائل إصلاح الأفراد والمجتمعات والشعوب والأمم وسيلة ربانية فعالة دائمة، ألا وهي خطبة الجمعة التي خص الله عز وجل بها هذه الأمة الإسلامية، وجعلها فريضة هادفة، وشعيرة من شعائر الدين واجبة.

يقول الحق سبحانه وتعالى في محكم التنزيل : (يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا إِذا نودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فاسْعَوا الى ذِكْرِ اللهِ وَذَروا الْبَيْعَ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمونَ، فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتشروا في الارْضِ وَابْتغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُروا اللهَ كَثيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحون)[1].

وإن خطبة الجمعة رسالة توجيهية تثقيفية تربوية، من أهم أبعادها وأعظم غاياتها زرع الإيمان والصلاح في نفوس الناس والتقوى في قلوبهم، وصيانة المجتمع من الضلال والانحراف والفتن، وتجنيبه الأهوال والقلق والمحن ؛ قال تعالى : (وَذَكِّرْ، فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمومِنين)[2].

إنها فرصة ذهبية للتواصل المستمر المنظم بين المؤمنين بعضهم مع بعض، وبينهم وبين علمائهم وأئمتهم، يستمدون من خطبهم المعرفة، ويستنيرون منها بنور اليقين، ويستفيدون من تحليلاتها للأوضاع، ويتقوى بها إيمانهم، ويرتقي بها تفكيرهم، ويهتدون بمواعظها إلى الرشد والصواب والحق والفضيلة.

وغاية خطبة الجمعة هي ترقيق القلوب، وتهذيب النفوس، وتخليق السلوك ، وتشخيص الأدواء النفسية والاجتماعية، ووصف العلاجات الناجعة الشافية، والأخذ بيد الناس إلى مرفأ الحياة المطمئنة الهادئة، المفعمة

(1) سورة الجمعة 62/9-10.

(2) سورة الذاريات 55/51.

بالإيمان والأمان، والسكينة والاطمئنان، والمحبة والتراحم والسلام، وتقديم النصح الخالص والنصيحة المخلصة المبرأة من كل الشوائب والشهوات.

غير أن كثيرا من الناس لا يدركون حقيقة خطبة الجمعة، ولا يعرفون مقاصدها الشرعية ولا أبعادها الإيمانية والتربوية. وهذا خلل معرفي يترتب عليه خلل منهجي، وينتج هذان الخللان أسوأ النتائج وأوخم العواقب. لذا كان لا بد من معالجة ذلك الخلل المعرفي، لأن جميع العبادات ينبغي لكل مسلم أن يعرف عنها ما يمكنه من فهم دلالاتها ومقاصدها، ليحسن القيام بها وأداءها على الوجه المشروع من جهة، ولتحدث فيه الأثر الإيجابي المطلوب تثبيتا لإيمانه، وترسيخا لعقيدته، وتمكينا له من أداء رسالته التي خلق من أجلها في الحياة والكون من جهة أخرى. ولعل الجهل بذلك هو الذي يوقع البعض في سوء فهم الخطب، أو في سوء تأويل كلام الخطباء، وهذا يؤدي إلى إحداث البلبلة في نفوس ضعاف الإيمان أو الغافلين عن حقيقة التدين وضرورته، فيرتمون في دروب التيه والضلال، وقد يتوهمون الاقتناع بأوهام العلمانية الملحدة الغريبة عن مجتمعنا وكياننا ومقوماتنا، أوينساقون مع تأويلات المبطلين وأقاويل الضالين المضلين من أبنائنا ومن غير أبنائنا البعيدين عن معتقداتنا ومفاهيمنا.

ورفعا لهذا الالتباس في النفوس والتلبيس على الناس رأى المجلس العلمي المحلي بجهة الدار البيضاء أن ينشر

بحثا في موضوع خطبة الجمعة وحقيقتها وخصائصها وأبعادها ومقاصدها، وكيف أن الشرع أراد لها وبالطريقة العملية المتجلية في المنهج النبوي الذي مارس به الخطبة منذ تشريعها، أن تكون وسيلة من وسائل التوجيه والإرشاد وتحليل المواقف والأحداث الاجتماعية وتناول الهموم اليومية للمسلمين مساعدة لهم على ممارسة الحياة بنجاح ورشاد، وتقوية لإيمانهم وترسيخا لروح الاستقامة والرحمة والفضيلة والعدل والتسامح والتناصر والتعاضد فيهم، وليدرك خطيب الجمعة ويستحضر أن رسالة خطبة الجمعة هي الوعظ والتذكير وترقيق القلوب وتقوية الإيمان وتجديد النشاط للاعتصام بالدين وتطبيق الشرع، وهي إلى ذلك مدارسة المشاكل الحياتية التي يعيشها المسلمون أفرادا ومجتمعا وأمة على الأصعدة الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية.. واقتراح الحلول الشرعية المستنبطة من الكتاب والسنة ونظرات العلماء والمفكرين الواعين بالحقائق والمقاصد الشرعية، وأن رسالة خطبة الجمعة بعد ذلك هي تبصير الناس بالأخطار المحدقة بهم ليحذروها ويحترزوا منها ويحتاطوا لأنفسهم من أضرارها.

فخطبة الجمعة مسؤولية وأمانة، ومهمة الخطيب خطيرة وجسيمة، وحرية الخطيب وبعده عن المؤثرات النفسية الداخلية أو البيئية الخارجية، واجتهاده في قول الحق والتحذير من الباطل، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. أمور ضرورية ولازمة لكي تؤدي الخطبة مهمتها ويبلغ الخطيب رسالته.

وإذا كانت وسائل الإعلام اليوم تخضع لاحتكارات وتوجيهات معينة، فتذيع ما تريد وتنشر ما تسمح به، وتحارب خطابات معينة لا ترتضيها وتمنع ما لا يرضيها، فليس هناك أي مبرر للتحجير على خطباء الجمعة أو اتهامهم بالتواطؤ مع حزب سياسي أو جهة معينة لمعارضة (توجه حكومي) أو (خطة وطنية) أو (برنامج حزبي) أو (قرار سياسي)، أو (ظاهرة اجتماعية) ؛ مع أن محتويات ذلك كله قد يدخل في صميم اختصاصات الخطبة وموضوعاتها، ويمكن أن يكون من صميم واجب الخطيب ومسؤوليته. ويزداد الأمر أهمية إذا تعلق بموضوع فيه خطر على وحدة الأمة أو على صحة العقيدة أو فيه مخالفة لفضائل الأخلاق العامة أو تطاول على الشرع والمؤمنين عليه من العلماء والخطباء والقائمين على الشأن الديني الذين هم العارفون به المسؤولون عنه أمام الله ورسوله، وأمام المجتمع والرأي العام بحكم الاختصاص والمعرفة والتفقه ؛ وتلك هي شروط اقتحام أي ميدان، فكيف إذا كان الميدان خطيرا وهاما كالفقه والشريعة ؟!

مع أنه ليس لأحد أن يحتكر الكلمة أو ينتصب وصيا على الرأي العام إلا أن يشتغل كل في اختصاصه ويتكلم فيما يعرفه، ويترك المجالات الأخرى لأهلها، وقديما قيل : "عاش من عرف قدره فلزم حده".

ألا إن خطباء الجمعة براء من كل زيف أو ادعاء، ألا وإنهم حين يعلون منابر الأمانة والمسؤولية إنما يقومون بواجبهم سواء كانوا منتمين - وهذا من حقهم كمواطنين - أم لم يكن لهم أي انتماء - كما هو حال معظمهم - وهم أثناء

مباشرة مهام التوعية ومطارحة المشاكل العامة للأمة والبحث عن حلولها الشرعية لا يرعون إلا الله الرقيب، ولا يرجعون إلا لمرجعية واحدة هي شرع الله الحكيم المستمد من الكتاب والسنة، وما أجمعت عليه الأمة، وهم يدركون أن ذلك من أوجب واجباتهم، ولا يملك أحد أن يكم أفواههم عن الحق والصراحة، أو يأمرهم بما يقولون أوينبههم إلى ما لا يقولون، ما داموا ملتزمين بالمنهج الرباني المنزل في القرآن الكريم، المبين في سنة النبي الكريم سيدنا محمد ﷺ ؛ لكن إذا كان هناك من يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم فالله متم نوره..

إن الصلاح في هذه الأمة متأصل عريق، فمنذ اعتنق الناس الإسلام ظلت شعوب الأمة متشبثة بقيمها ذؤوبا على صلاحها، تجذر فيها الإصلاح على المستويات الفردية والاجتماعية والعامة.

ومن ثم ظلت القيم النبيلة والطموحات النيرة موجودة حاضرة في فكر أبناء الأمة ومنهجهم وفي سلوكهم ومعاملاتهم، وظلت أصوات الصلاح والإصلاح ترتفع في أجوائنا على امتداد تاريخنا المجيد، وظل أهل الفضل والعلم والتقوى هم أصحاب الكلمة ورواد الأمة عبر القرون.

ونحن المغاربة أدرك سلفنا الصالح أهمية تماسك الأمة ووحدتها وتآزرها فكان من أهم ثمرات هذا الإدراك تشبثنا في هذا الوطن الأبي منذ أن اجتمعت كلمة أسلافنا على هذا الدين الحنيف بالاختيارات الثلاثة الكبرى :

المذهب المالكي في الفروع،
والعقيدة الأشعرية في الأصول،
والتصوف السني في السلوك.

ولم يحجب عنا تمسكنا بتلك الأصول والقيم ودعوتنا إلى إشاعتها مبدأ التعامل مع الآخرين بلا إقصاء، وتوفير جو التعاون والتحاور بلا مراء ؛ وبذلك حفظ الله أمتنا من التشرذم والتفكك والعزلة، وحفظنا من الخلل في الاعتقاد، وعصمنا من التنطع في المنهج ومن التطرف في الفكر ؛ وكان المغاربة على الدوام يدركون أمرين اثنين :

أما أولهما فأن هذا الدين يقوم على أسس قوية ثابتة من الإيمان الصحيح والعمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق الشروط المطلوبة.

وأما الثاني فمنهج الوسطية والاعتدال والحكمة ولزوم الجماعة، فلقد أدرك أسلافنا وندرك نحن أيضا أن **المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى**، وأن **الاعتدال ما رافق شيئا إلا زانه**، وأن **الغلو ما خالط شيئا إلا شانه**، وأن **يد الله مع الجماعة** ؛ وقد جمع الوحي كل ذلك في آية وجيزة بليغة، حيث قال تعالى في أواخر سورة النحل : **(ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)**[1].

(1) سورة النحل 125/16.

وإذا كان مشروع الاصلاح في هذه الأمة المغربية قد انطلق منذ أوائل عهدها بالإسلام، وتجدد ذلك عبر العصور والحقب. فإنه اليوم، وفي ظل عهد جديد، عهد يرسخ المبادئ والقيم ويعلي شأن الحريات والهمم وينشر المفهوم الحقيقي للتجديد الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة ويقود الأمة نحو الرقي والريادة : اليوم يتأكد أن مشروع الإصلاح سائر متواصل على جميع المستويات، وفي مقدمتها إصلاح الشأن الديني وترشيده وتقوية دور العلماء وإيلاء مهامهم العناية السامية والرعاية السابغة.

فلنكن في مستوى هذه القيم وتلك العزائم، وإلا بقينا عالة ينهشنا الآخرون، وندوب في أتانين التخلف والتبعية والانهزامية، وخيانة الأمانة العظمى.

والله الهادي إلى الرشاد، وعليه التوكل ومنه العون والمدد.

رضوان ابن شقرون

رئيس المجلس العلمي المحلي بجهة الدار البيضاء الكبرى

مدخل

- الخطبة في الإسلام.
- تسمية الجمعة وجمع المسلمين على صلاتها.
- خطبة الجمعة وأهميتها.

مدخل

الخطبة في الإسلام :

لقد اقتضت حكمة الله العزيز العليم أن تتقلب الإنسانية في مختلف الأوضاع، وتتعاقب عليها الأحداث والأحوال، ابتلاء واختبارا : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[1] ؛ فإما ثبات وصبر ويقين، فمغفرة ورحمة ورضوان، وإما جزع وقلق واضطراب، فمحاسبة وحسرة وخسران. والإنسان بين الحالين محتاج إلى دوافع الثبات وعوامل التقوية وأسباب اليقين، مفتقر إلى التحصين من الشك والزيغ والضلال المبين.

ولقد أمسى الإنسان في العصر الحديث عامة يعيش حياة تطبعها سمتان واضحتان :

أما أولاهما فتقدم هائل متواصل في العلوم والتكنولوجيا والصناعات والعمارة المادية للأرض والتوجيه المعقلن للإنسان.

---

(1) سورة الملك 67/1-2.

وأما الثانية فانتكاسة مذهلة في الجانب الروحي والقيم الأخلاقية الضرورية لاطمئنان الإنسان وسعادته وهنائه، وإهمال صارخ للعقائد الدينية والإيمانية !

وقد ورث العالم المعاصر من الجاهليات القديمة عبادة العقل في صورة المادي والمحسوس، وورث عبادة الجسد في صورة الظاهر والملموس، وورث عبادة الكون والحياة بروح مادية ووثنية بغيضة قائمة على الإغراءات والفتن، حتى أضحى الإنسان في مهب رياح هوجاء من الأهوال والأهواء، وفي أمواج متلاطمة من العوائد الفاسدة والتقاليد المنحرفة والضلالات المهلكة والاعتقادات الموقعة في مهاوي البؤس والشقاء في عاجل أمره وآجله.

ولا منجاة من هذه الأوضاع البيئية والمهاوي الشقية، وليس لسفينة الحياة من منقذ مشفق أو مرشد محقق يهديها إلى شاطئ النجاة، إلا بأربع :

1- وجود ربابنة أفذاذ قادرين مقتدرين أقوياء أمناء عمليين مؤهلين.

2- وجود ركاب أوفياء مستعدين لتقبل النصح والانقياد للتوجيه والسعي بجد إلى تحقيق السعادة والفلاح.

3- اتباع منهج عملي متكامل تتضافر فيه جهود العلماء المخلَصين، ورغبات الأفراد المومنين، ومنابر الموجهين المرشدين.

4- عودة المسجد إلى أداء رسالته القيمة، رسالة التربية والتثقيف والدعوة التي رسخها رسول الخير والبِشْر

ﷺ بمنهجه العملي، واستمرت تبني وتشيد وتهدي وتثمر ؛ واليوم إذا عادت للمسجد مكانته في النفوس، وعاد للخطبة والدرس والمحاضرة والاجتماع للذكر والعبادة والتدبرفي القرآن والسنة طابعها الأصيل كما كان على عهد السلف الصالح، فإن أثر ذلك ينعكس لاشك على صلاح الفرد والجماعة والأمة، وذلك ما نلاحظ نور الأمل فيه ينبثق من ثنايا هذه الصحوة المباركة التي نحياها، حيث لاحت تباشير أوبة الشباب إلى ارتياد المساجد وشهود حلقاته المفيدة الهادية.

ولكن لابد من أن يدرس الأمر بدقة وعناية، وأن يركز فيه على بناء شخصية الفرد حتى تمتد في أعماقه الجسور الدائمة التي تصل بين فكره وسلوكه وبين عقيدته ومنهجه.

فمن يتحمل المسؤولية في ذلك ؟

يجيب رسول الله ﷺ عن هذا السؤال مبيناأن أبناء الأمة الإسلامية يتوزعون المسؤولية كل بحسب موقعه وعلى قدر طاقته واستعداداته. فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته : فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته ؛ ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**".

نعم إن هذا الدين الحنيف هو دين الحرية والمساواة في الحقوق والواجبات : فلا إكراه في الدين، ولا تحجير على أحد، ولا كبت للحريات ؛ لكن لا بد من تحمل المسؤولية والقيام بالأمر على الوجه الذي يرضي الخالق المعبود عز وجل عن مخلوقه العابد.

والحرية في الإسلام حرية حقيقية، هي الحرية التي تفتح أبواب التعبير الصريح عن الرأي السديد ، وهي الحرية المنضبطة بالثوابت، المؤطرة بالشرع، الملتزمة بحدود الإنسانية، المحترمة لحقوق الآخرين، الواعية بمسؤوليات كل جهة في المجال الذي هي مؤهلة له، وكل فرد في العمل الذي هو ميسر له.

وإن هذا الدين الحنيف ولله الحمد هو دين التسامح والرحمة، حتى إن الرسول الأكرم ﷺ إنما بعث رحمة للناس ففي الذكر الحكيم نقرأ : (**وَما أَرْسَلْناكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعالَمين**)[1] ؛ وهو دين رفع الحرج والمشقة : (**وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ في الدّينِ مِنْ حَرَج**)[2].

ديننا دين الممارسة الفعلية للشعائر الربانية والعبادات المقربة والسلوكات النبيلة والمعاملات الإنسانية : (**الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآب**)[3]، و(**مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ انْثَى وَهُوَ**

(1) سورة الأنبياء 106/21

(2) سورة الحج 76/22.

(3) سورة الرعد 30/13.

مُؤمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلون)[1].

والله عز وجل يعد المؤمنين الذين يقرنون الإيمان بالعمل الصالح وعدا حسنا، فيقول سبحانه : (وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنوا مِنْكُمْ وَعَمِلوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ الّذي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنا)[2] : ذلك في الحياة الدنيا، ويقول جل شأنه : (إِنَّ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خالِدينَ فيها لا يَبْغونَ عَنْها حِوَلا)[3]، وهذا في الآخرة يوم الجزاء الأكبر، وكل يتحمل نصيبه من المسؤولية، والمسؤولية إما خاصة وإما عامة :

أما المسؤولية الخاصة فيتحمل كل واحد منها نصيبا، إن كان رب أسرة ففي أسرته، وإن كان موظفا ففي عمله، وإن كان أجيرا ففيما استؤجر له، وإن كان منتصبا لخدمة مصالح خاصة كالطبيب والمحامي والمدرس وغيرهم ففيما هو منتصب له.

وأما المسؤولية العامة فيتحملها قادة الأمة من الولاة والحكام والدعاة والعلماء والمفكرين.

---

(1) سورة النحل 97/16.

(2) سورة النور53/24.

(3) سورة الكهف 103-102/10.

ومن ضمن هؤلاء يوجد خطباء الجمعة الذين ندبهم الله لمهمة الدعوة والتبليغ والتوعية والتذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وجعل الإسلام لهم من فن الخطابة فرصا متجددة تعتبر مجالا مفتوحا على الدوام للنشاط الدعوي وأداء أمانة التبليغ وتربية الأجيال وبناء المجتمعات وإصلاح الأمم والشعوب وتوجيه الأفراد لما فيه الخير العميم والمنفعة العليا والسعادة الحقة.

لذلك شرع الإسلام الخطبة في مناسبات متعددة :

- فقد سنها رسول الله ﷺ إذ كان يخطب في البعوث والسرايا والوفود التي يوجهها في المهام المدنية والعسكرية والتعليمية ؛ أو التي يستقبلها ممثلة عن جهات أخرى ؛ وكذا في تعيين بعض الصحابة في مهام التبليغ أو الإمامة في الأماكن البعيدة[1].

- وسنها ﷺ في كل سنة حين يجتمع المسلمون من كل حدب وصوب في منى وعرفات خلال أداء مناسك الحج.

- وسنها ﷺ في العيدين حين يجتمع المؤمنون في المصليات لأداء صلاة العيد.

- وشرعت في كل أسبوع حين يتجه المسلمون إلى بيوت الله لأداء صلاة الجمعة.

---

(1) انظر حديث معاذ حين بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، وحديث علي حين بعثه ﷺ في أثر أبي بكر إبان موسم الحج من السنة التاسعة للهجرة، في سيرة ابن هشام 190/4 ، ونصب الراية 63/4 .

إنها فرص ذهبية، ومجال للتوجيه التربوي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي للأمة إن أحسن الدعاة استغلالها، وأحسن الناس الاستفادة منها.

على أن تحقيق مقاصد الخطبة ينطلق من لحظات الاستعداد الأولى للجمعة :

فالمومن في صباح هذا اليوم المشهود من كل أسبوع يغتسل ويتزين ويتطيب ويرتدي أحسن ثيابه وأنظفها ؛ لا ليخوض معركة ضد أحد، ولا لينتقم من عدو ألد، ولا ليُسْتَفَزّ بفعل أحد، ولا ليَسْتَفِزّ غيره ؛ ولكن يعد نفسه الأمارة بالسوء ليطهرها من الشر والبلوى، ويتناولها بالإصلاح والتهذيب والتربية على الفضائل والتعاون والبر والتقوى.

ثم يأتي المسجد فيدخله بكل أناة وسكينة، يجتنب تخطي الرقاب وإذاية الناس والتفريق بين المتجاورين ؛ فإذا جلس في مكانه وارتفع الأذان استمع إليه وأجاب نداءه وردد مع المؤذن ما يقول ؛ فإذا افتتح الخطيب خطبته أنصت وأصغى بجميع جوارحه، واجتنب كل ما يشغل ذهنه وقلبه وفكره عن تأمل الأفكار وتدبر المعاني، وعول على حسن الاتعاظ والاعتبار والانقياد. قال رسول الله ﷺ : "**إن المسلم إذا اغتسل يوم الجمعة ثم أقبل إلى المسجد لا يؤذي أحدا، فإن لم يجد الإمام خرج صلى ما بدا له، وإن وجد الإمام قد خرج جلس فاستمع وأنصت حتى يقضي الإمام جمعته وكلامه ؛ إن لم يغفر له في جمعته تلك ذنوبه كلها أن تكون كفارة للجمعة التي تليها**"[1].

(1) أخرجه الإمام أحمد عن نبيشة الهذلي، وينظر عنه المنذري، والهيثمي وابن القيم في زاد المعاد 386/1.

فإذا شفع المومن ذلك بعزم على الاستجابة والامتثال لأمر الله الواحد القهار، وأمر الرسول الأكرم سيد الأبرار، كما أمر به الحق سبحانه في قوله المحكم : (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**)[1]، فذلك سبيل خير وفلاح وسعادة.

وآخر خطوات تحقيق الغاية من خطبة الجمعة أن يخرج المؤمن من المسجد في سكينة ووقار ووداعة وهدوء وطمأنينة، وأن يجعل هذه الصفات ديدنه في حياته، وعادته في سلوكه ومعاملاته.

تسمية الجمعة وجمع المسلمين على صلاتها

للسلف رضي الله عنهم في تبرير تسمية الجمعة جمعة أقوال عدة، مفادها أنها إنما سميت جمعة لأن الله عز وجل جمع فيها خلق آدم أبي البشر، أولأن المخلوقات قد اجتمعت فيها لأنه سبحانه فرغ فيها من خلق كل شيء، أولأن الناس يجتمعون فيها للصلاة[2].

وعن ابن سيرين أن أهل المدينة المنورة جمعوا الجمعة قبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة وقبل أن تنزل سورة الجمعة، وهم الذين سموها "الجمعة" إذ قالوا : "تعالوا فلنجتمع حتى نجعل يوما لنا نذكر الله ونصلي فيه ونستذكر" ـ أو كما قالوا ـ فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة

(1) سورة الأنفال 24/8.

(2) تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن 97/18.

ـ أومصعب بن عمير ـ رضي الله عنهما فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا، فكانت أول جمعة في الإسلام، وكانوا اثني عشر رجلا[1].

أما أول خطبة جمعة لرسول الله ﷺ فتذكر كتب السيرة والتاريخ أنه ﷺ لما كان في طريق الهجرة أدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، وقد اتخذوا في بطن واد لهم مسجدا، فجمع بهم وخطب خطبته الشهيرة[2].

خطبة الجمعة وأهميتها :

وخطبة الجمعة موسم إسلامي أسبوعي قرين صلاة الجمعة التي تعتبر من آكد فروض الإسلام وأفضل الصلوات[3]، وأهمية هذه الخطبة بالغة، وفائدتها كبيرة، وأثرها الديني والتربوي والاجتماعي فعال قوي ما التزمت فيها الشروط الشرعية والأهداف والغايات المرعية المعتبرة.

فالخطبة شرط في الجمعة لا تصح بدونها ـ على المشهور الراجح المعتمد ـ[4]، والله عز وجل يقول : (**فَاسْعَوْا إلى ذِكرِ الله**)[5]، والذكر هنا هو الخطبة، والنبي ﷺ ثبت أنه

---

(1) نفسه.

(2) ابن هشام 494/1 وزاد المعاد 373/1 وغيرهما، وينظر كذلك كتب التاريخ كالطبري، وابن كثير.

(3) زاد المعاد 397/1.

(4) في الموضوع خلاف بين الفقهاء، ينظر في مثل بداية المجتهد 113/1 وتفسير القرطبي 18/9، 97، 120 والمغني والشرح الكبير 143/2-222.

(5) سورة الجمعة 62/9.

ما ترك الخطبة للجمعة في حال من الأحوال منذ فرضها، وقد قال ﷺ : "**صلوا كما رأيتموني أصلي**"[1].

وخطبة الجمعة كما أسلفنا مجال من مجالات الدعوة إلى الله وتقديم النصح والإرشاد للمسلمين، وفرصة من فرص التبليغ والتوجيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ كلمة الحق والخير ونشر الوعي الديني والاجتماعي.

فأي رسالة أنبل من هذه الرسالة التي تؤديها خطبة الجمعة وأعظم ؟؟

وأي تربية أنفع من هذه وأجدى ؟؟

وأي تأثير في النفوس يساوي تأثير الخطبة التي تستمد من نور الوحي الإلهي ؟؟

وأي عمل يمكن أن يحدث ما تحدثه خطبة الجمعة في تكوين الآمنين المطمئنين الراشدين المستقيمين ؟؟

وأي كلام يمكن أن يتحقق به ما يتحقق بخطبة الجمعة من الأمن العام والمحبة الإنسانية والسلام الحقيقي الشامل مع الناس جميعا ما داموا مسالمين ؟؟

إنها فرصة أسبوعية للاتعاظ والاعتبار واستعراض المواقف البشرية المنحرفة ومآلاتها المؤلمة، والمشاهد

---

(1) رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد، وينظر صفة صلاة النبي للألباني 35.

السيئة المخزية وعواقبها المهلكة، حتى يتعظ الناس ويعتبروا ويحترزوا من الوقوع في أخطاء الغابرين أو ضلالات التائهين أو عمايات المتأخرين ؛ وكذا التنبيه إلى السلوكات الإنسانية الرشيدة وعواقبها الطيبة، والأعمال الحميدة الصالحة ومناهجها المنجية، حتى يتشجع الناس على الترقي في الطاعات والتمادي في القربات والاعتصام بالسنة والكتاب والاقتداء بالهدي النبوي الكريم، والسير على نهج الصالحين من المؤمنين المتقين.

المنهجيّة والقصد في خطبة الجمعة

- تعريف المنهج وضرورته.
- منهج خطبة الجمعة.
- العبرة بالمقاصد.
- مقاصد خطبة الجمعة

المنهجيّة وخطبة الجمعة

تعريف المنهج وضرورته :

المنهج في اللغة الطريق الواضح الممهد، وهو المنهاج أيضا ؛ أما المنهجية فمصدر ميمي شائع على ألسنة المتحدثين في أحاديثهم، وعلى أقلام الكاتبين في كتاباتهم على سعة وانتشار.

وعند الغربيين تعادل لفظة (منهج) مصطلح (la méthode) ؛ وهي تعني الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى النتائج السليمة.

ولابد للباحث أي باحث، وفي أي مجال من مجالات المعرفة أن يسلك في بحثه منهجا يقود خطوات بحثه، وإلا فمن الصعب عليه أن يهتدي إلى الحقيقة، الحقيقة التي هي ضالة الباحث ؛ وقد يهتدي إليها اتفاقا وقدرا، لكنه لن يكون قويا ولا متمكنا ولا قادرا على إثبات رأيه ثم الدفاع عن نتائجه إلا بمنهج رشيد وسبيل قويم، ولهذا يقول (رونيه ديكارت : René Descartes : 1596-1650) : "خير للإنسان أن

يعدل عن التماس الحقيقة من أن يحاول ذلك من غير طريقة"[1].

ولكل علم من العلوم منهجه وطريقته، ولكن وراء مختلف مناهج العلوم وحدة العقل الإنساني الذي بفضله - بعد منة الخالق سبحانه وتعالى - يستطيع الإنسان أن يسير على هدى وبينة وبصيرة في سائر أعماله.

ولقد أمست العلوم كلها مفتقرة إلى مناهج موصلة فيها إلى المعارف الضرورية والنتائج السليمة، وأمست الأعمال الفكرية والأدبية تعتمد على مناهج خاصة توفر للباحثين جهودهم، وتقرب للناس آراءهم وتبوئ أعمالهم مكانتها في القلوب والضمائر وفي مجال الإسهامات العلمية الجادة النافعة ؛ فتكونت مجموعة من القواعد والأصول التي تهدف إلى ترشيد الباحثين والمتحدثين والكاتبين والمؤلفين، وحماية أعمالهم من الوقوع في الزلل أو الخلل، ومساعدتهم على تحقيق أفضل النتائج في البحوث وأبلغ الآثار في النفوس.

من ثم كان الانطلاق في أي عمل جاد من منهج معين واضح يعتبر ضرورة تقتضيها الرغبة في تحقيق الغايات والوصول إلى المقاصد. وما من شك في أن العقيدة الصحيحة والتكوين العلمي الدقيق والانضباط بضوابط الشرع.. كلها تنشئ منطقا سديدا وتولد منهجا قويما

(1) انظر كتابه (خطاب في المنهج : Discours de la méthode ص 103.

وتوجه نحو الرشد والتوفيق والهداية إلى أمثل السبل لتحقيق أفضل النتائج.

منهج خطبة الجمعة :

تعتبر خطبة الجمعة عملا هادفا موجها. وبما هي كذلك فلا مناص من الأخذ فيها بمنهج معين يحميها من الانحراف عن غاياتها العملية ويقيها من سوء النتائج المبتغاة، ويساعد على تحقيق الأهداف المتوخاة واستثمار الجهود المبذولة فيما ينبغي أن تستثمر فيه.

والمنهج السني الصحيح الهادف الذي يستفاد من سيرة نبينا وأسوتنا سيدنا محمد ﷺ ثم من منهج السلف الصالح من بعده يمكن تفريع الحديث عنه إلى ناحيتين اثنتين هما : الخطبة نفسها بمقاصدها الشرعية والدعوية، ثم الخطيب الذي يعتلى منبر المسؤولية ويتحمل عبء الكلمة ورسالة التبليغ.

فأما من حيث الخطبة ومضمونها فمنهجها أن تكون خطبتين تفتتحان بحمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله، ثم الشهادتان، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

وتشتمل الأولى منهما على آيات من الذكر الحكيم في شكل نص أو اقتباس أو تضمين، وعلى تذكير بقواعد الإسلام وأصوله، وتعليم لأحكامه وشرائعه، وتوجيه للناس إلى ما ينفعهم ويصلح دينهم ويهديهم في عاجل حياتهم وآجل أمرهم ؛ كما تشتمل على الأمر بالطاعات والنهي عن

المعاصي والحث على الخير وأوجهه والترغيب فيه والبر والتقوى والحرص عليهما، وعلى التزام الشرع وآدابه ؛ وتختم بالاستغفار والدعاء.

وتشتمل الخطبة الثانية على شيء من الرقائق والأدعية بالمأثور أو المناسب.

ومن الهدي النبوي الكريم أن تكون الخطبة الأولى أطول من الثانية، وأن يجتنب التطويل فيهما معا، فقد كان ﷺ يقصر أحيانا ويطيل أحيانا بحسب الظروف والأحوال، لكنه كان يقصد الكلمات الجوامع، ويوصي بالقصد في الخطبة والصلاة معا، ويعتبر طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه.

وأما **من حيث الخطيب وأعماله** فمنهجه أن يخرج من المقصورة حينما يحل وقت الأذان، فيسلم إذا دخل المسجد، ثم يصعد المنبر فيستقبل الناس بوجهه ويسلم ويجلس، فإذا أتم المؤذن الأذان، قام الخطيب معتمدا على عصى أو نحوها وهو قائم ووجهه قبل الناس، فيخطب خطبتين من غير فصل بينهما وبين الأذان بأي شيء، ولا بين الخطبتين إلا بجلسة خفيفة قدر آية أو دعاء قصير. فإذا فرغ من الخطبة الثانية أقيمت الصلاة فصلى بالناس ركعتين جهريتين وانصرف، ثم صلى في بيته من النافلة، لا في المسجد، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ "**كان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين**"[1].

(1) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة وقبلها : بالفتح : 94/3 ح 937.

العبرة بالمقاصد :

مراعاة المقاصد مبدأ شرعي مطرد في كل تشريع رباني، فلا تكاد تجد قاعدة أو حكما أو أمرا أو نهيا إلا مرعيا فيه قصده والحكمة منه، وكذلك أعمال العباد المختلفة من عبادة وعادة وسلوك، سواء في ذلك الضروري من شأنه أو الحاجي أو التحسيني[1].

فمن المقرر الثابت بالبحث والتقصي أن التشريع الإسلامي مبنية أحكامه وتشريعاته وحتى توجيهاته على منطق القصد واطراد الحكمة والسر. فالأحكام بمقاصدها، والعبادات لها أسرارها، والتشريعات قائمة على حكم وأسرار ومقاصد موفورة بالأدلة، مستخرجة من النصوص، مكتشفة بالأقيسة[2].

ومن ثمة كانت ضرورة العناية بالفقه المقاصدي، وكانت الدعوة إلى الاجتهاد المقاصدي بضوابطه وقواعده وشروطه، وكان الاستدلال على حجيته بالنصوص والمباحث الأصولية[3].

وخطبة الجمعة أحوج إلى مراعاة مقاصدها التي شرعت من أجلها، باعتبار الإسلام دين الاستمرار والثبات

---

(1) يراجع الموافقات للشاطبي، وإعلام الموقعين لابن القيم، والفروق للقرافي، وما كتبه المحدثون في المقاصد كابن عاشور وعلال الفاسي وأحمد الريسوني.

(2)(3) ينظر مثلا الاجتهاد المقاصدي : حجيته.. ضوابطه. مجالاته، نور الدين بن مختار الخادمي، ضمن سلسلة "كتاب الأمة" العددان 66، 65.

إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، مما يقتضي بالضرورة أن تساير خطبة الجمعة أحوال الناس وشواغلهم وتعالج همومهم ومشاكلهم لتعطي الحل الرباني والعلاج الإسلامي والتوجيه النبوي الراشد للأمة أفرادا وشعوبا وتجمعات وإدارات ومؤسسات.

مقاصد خطبة الجمعة

إن المستقرئ لخطب الرسول ﷺ ولأقوال الفقهاء ومذاهب العلماء يتبين بعد الدراسة والمقارنة والاستنتاج أن من مقاصد خطبة الجمعة ما يأتي :

• الذكر :

ذكر أن من معاني الذكر في قوله تعالى (**فاسْعَوا إلى ذِكْرِ الله**) : الخطبة والموعظة، سمى الله عز وجل الخطبة ذكراً ؛ وأن السعي إليها - أي إلى الخطبة - واجب[1] ؛ وبه قال علماء المالكية إلا عبد الملك بن الماجشون فإنه رآها سنة[2]، غير أن السعي المراد هنا، والله أعلم بقصده، ليس المشي على الأقدام ولكنه عقد النيات وعزم القلوب والزهد في كل ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا.

وقيل إن المراد بالذكر الصلاة، وقيل الخطبة والصلاة معا إذ الخطبة من الصلاة، والعبد يكون ذاكرا لله بفعله كما يكون مسبحا بفعله. وذكر الحافظ ابن عبد البر

(1) الكشاف 105/4، والقرطبي 107/18.
(2) القرطبي 107/18.

أن ''الذكر ههنا : الصلاة والخطبة بإجماع''[1] وقد يتساءل متسائل : كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها غير ذلك ؟ يجاب عن ذلك بأنه يجوز في البلاغة تسمية الشيء باسم بعضه، لأن الخطبة تشتمل حسب المنهج النبوي المقرر على ثناء على الله عز وجل وتشهد وتمجيد وتسبيح وتصلية وأدعية وابتهالات وآيات من كلام الله تعالى، ونصوص من الأحاديث النبوية الهادية، فذلك كله ذكر. وقد أجاب الزمخشري بأن ما كان من ذكر رسول الله ﷺ والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله، فأما ما عدا ذلك مما قد تشتمل عليه خطب الجهلة والمتملقين فهو من ذكر الشيطان لا من ذكر الله، والخطيب المغالي في التملق أو المشتغل بالتوافه يعتبر لاغيا[2]. وروى النسائي عن عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال : ''كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر - أي في خطبه - ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة..''[3].

• التذكير :

المفروض أن تكون الخطبة تذكيرا للخطيب قبل غيره عملا بقاعدة : ''إبدأ بنفسك''. ويروى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه صعد المنبر لما تولى خلافة رسول الله ﷺ

(1) الاستذكار 128/5، الفقرة 6216.

(2) الكشاف 106/4.

(3) أخرجه النسائي في كتاب الجمعة، باب ما يستحب من تقصير الخطبة، ح 1415 ؛ وانظر كنز العمال 65/7 ح 17981. وقوله ''يقل'' : القلة هنا بمعنى العدم، كما في شرح السيوطي على سنن النسائي.

على المسلمين فقال : الحمد لله، وأرتج عليه فقال : "إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا، وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال، وستأتيكم الخطب"، ثم نزل[1].

ثم بعد ذلك يتصدى المذكِّر للآخرين ويتوجه إليهم بما ينفعهم من المبادئ والأحكام والتوجيهات، مع أن الذي ينتفع بذلك مبدئيا هو من في قلبه ميل إلى الرشد، ورغبة في الهدى واستعداد لقبول النصح والتوجيه، قال تعالى : (وَذَكِّرْ، فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمؤمِنين)[2].

• الوعظ :

والوعظ من أهم مقاصد خطبة الجمعة، لأن الوعظ في المنهج الإسلامي من أساسيات حفظ إيمان الناس وتقويته، وحفظ الدين وترسيخه، ويتغيى الوعظ بذلك غايتين واضحتين ثابتتين :

أما أولاهما فإقامة الحجة على الناس والمعذرة إلى ربهم، لأن الله لا يظلم الناس شيئا، ولأنه وهو الرحيم الودود يؤكد أنه يحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم، ويكره لهم الكفر والفسوق والعصيان، و(لا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ، وَإِن تَشْكُروا يَرْضَهُ لَكُم)[3]، ولأنه سبحانه لا يعاقب أحدا من

(1) أورد الخبر الواقدي، ونقله صاحب العقد الفريد، والزمخشري في الكشاف؛ وقد تُكُلِّم في الخبر: انظر تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان 86.

(1) سورة الذاريات 55/51.

(3) سورة الزمر 39 بعض الأية 8.

خلقه حتى يبعث إليه النذير : (وَما كُنّا مُعَذِّبينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسولا)[1].

وأما الثانية ففتح آفاق الاستقامة والتقوى للعباد كي يحموا أنفسهم من غضب الله ويقوها نقمته وعذابه، قال تعالى : (وَإِذْ قالَتْ أمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شديدا ؟ قالوا مَعْذِرَةٌ إلى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقون)[2].

• الترقيق :

إن القلوب لتصدأ إذا أُهملت كما يصدأ الحديد، فهي تحتاج باستمرار إلى ما يجلو عنها الصدأ ؛ وإنها لتقسو أحيانا، فتحتاج إلى ما يلينها ويدفع عنها هذه القسوة ؛ وإن الإيمان ليضعف آناء بسبب الأهوال والمفاتن والمغريات والصوارف، فيحتاج إلى ما يحميه ويحصنه ويمنعه من الفتور والتردي ويقويه ويحببه إلى النفوس ويزينه في القلوب.

والشأن في خطبة الجمعة أنها ترقق القلوب وتجلو عنها الصدأ، وتلين النفوس وتصونها من الانجراف إلى الغوايات، وتقوي الإيمان وتحفظه من الضعف والتذبذب ؛ بما تشتمل عليه من آيات بينات وأحاديث هادية وحكم موجهة ومواعظ مربية وتوجيهات ربانية، فتملأ القلوب

(1) سورة الإسراء 17 بعض الآية 15.

(2) سورة الأعراف 164/7.

إيمانا وتوحيدا ومعرفة ونورا ؛ وينصرف السامعون وقد أحبوا الله وأحبهم، وتعلقت به قلوبهم وحسنت أفعالهم وأقوالهم ؛ وبذلك يتحقق المقصد الأسمى من خطبة الجمعة.

• التوجيه والمدارسة :

والناس خلال الأسبوع كله ينتظرون يوم الجمعة في تطلع إلى معرفة الحكم الشرعي في الملمات والنوازل والعوارض التي يتخبطون فيها خلال ستة أيام من الأهوال والمتاعب، ولا سيما في عصر أمسى متميزا بالظاهرتين الخطيرتين الخادعتين :

أما الأولى منهما فانتشار الإعلام الكاذب الفاسد المفسد بوسائله المموّهة المزيّفة للحقائق الموهِمة لكثير من الأوهام الباطلة والمروجة لكثير من الضلالات والعمايات، ولا يملك الإنسان العادي أمام سطو الإعلام شيئا من أمره ولكنه يتيه حائرا مترددا متطلعا إلى من ينير له سبيل الفهم الصحيح للأحداث والوقائع والنوازل، ويعبد له طريق إدراك الحقائق الضائعة !

وأما الظاهرة الثانية فأن قد تصدى للفتوى والكلام في الدين وأحكامه كل من هب ودب، ممن سمع آية ولم يستوعبها، أو قرأ حديثا دون أن يتفقه فيه، أو أنصت عبر قناة من القنوات الفضائية إلى حكم (شرعي) بلا تبين !

فكان شأن خطبة الجمعة ـ لأجل ذلك ـ أن توجه الناس إلى سبيل الرشاد في شأنهم الخاص والعام، وتبين لهم الحكم الشرعي القويم فيما يحل بالأمة أو ما يشغل أبناءها أو ما يعرض لها في أمر دينها ودنياها.

ولقد كان رسول الله ﷺ يوجه المسلمين في خطبه إلى الاحتراز من شر محدق، أو الاستعداد لأمر طارئ، أو خوض معركة لازمة ؛ أو يوجههم إلى معرفة ما يجب عليهم لسد خلل باد أو تكميل نقص ظاهر في الدين أو الخلق أو المعاملة أو العلاقات العامة وحتى في التصرفات الفردية لبعض الضلال والمنحرفين.

الدّائرة الخضراء

- تقوية الإيمان والثقة.
- تصحيح الأوضاع العامّة.
- معالجة هموم الأمّة.

الدائرة الخضراء

تقوية الإيمان والثقة

وذلك بأن تشتمل الخطبة على ما فيه تنبيه للغافلين، وتذكير للمؤمنين، وتبسيط للعقيدة، وتقريب للشريعة، وتقرير لأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وذكر عظمة الله عز وجل وصفاته وأسمائه وذكر آلائه التي تحببه إلى خلقه وتطمئنهم إلى رحمته وجوده وكرمه، وترغبهم في محبته وطاعته والتقرب إليه، وتزرع فيهم الثقة والأمان والاطمئنان والنجاة والفوز بما أعد الله سبحانه وتعالى لأوليائه وأهل طاعته في النعيم ؛ وتنفرهم من الكفر به وعصيانه، وتخوفهم من بأسه وعذابه وما أعد لأعدائه وأهل معصيته في الجحيم.

كما تشتمل على التنبيه إلى أهوال الحياة ومفاتنها ومزالق الشر والغواية للاحتراز منها واجتناب الوقوع فيها، والحث على الأخلاق الفاضلة والمحامد السلوكية للاجتهاد في الاتصاف بها والاعتصام بعراها، والتحذير من الشرور والآثام وسيء الأسقام وخبيث الشراب والطعام وما حرم من الكسب والمتاع ليجتنبه الناس أو يرتدعوا عنه أو يترفعوا عنه ويكفوا عن اقتنائه.

تصحيح الأوضاع العامة

• **الأوضاع الاجتماعية** : إن تربية الروح الجماعية في نفوس أبناء الأمة لها أثر كبير في توجيههم نحو الشعور

بالمسؤولية المشتركة وتقدير الواجب وحسن القيام به وأداء الفرد رسالته الأساسية في الحياة، تلك الرسالة التي يمتاز بها عن باقي المخلوقات في هذا الكون، رسالة تحقيق الحق وترسيخه وإبطال الباطل وإزهاقه، ونشر العدل والفضيلة ومحاربة الظلم والرذيلة ومد يد العون والمساعدة لكل محتاج، وإطعام الجائع وكسوة العاري وإعطاء المحروم وصلة الأرحام والعفو عند المقدرة .. ومن ثمة كانت مدارسة خطبة الجمعة للأوضاع الاجتماعية أمرا حتميا، وكانت حاجة الناس ماسة إلى أن تحلل الخطبة أوضاعهم الاجتماعية وعلاقاتهم الخاصة والعامة تحليلا يضع أيديهم على الحلول الصحيحة والمناهج الرشيدة ويفتح بصائرهم لمعرفة الأوضاع ومقتضياتها والأحوال والتبصير بها والأمراض وطرق معالجتها.

ويدخل في الاعتبار الاجتماعي أحوال الأسرة وتماسكها، والأبوة وحقوقها وواجباتها، والبنوة ومسؤولية الآباء تجاهها ومشاكل الزواج والعلاقات غير الشرعية وطرق التحصين منها قبل حدوثها أو معالجتها عند ظهورها، والاجتهاد في تعبئة المجتمع برمته دون تفشيها، وعوائد الأفراح والمآدب وأباطيلها، والأتراح والمآتم وضلالاتها، وتوعية الناس بضرورة محاربة بدعها ومنكراتها وتذكيرهم بمناهج إجرائها على هدي القرآن والسنة.

كما يدخل في ذلك الوصاية بالإحسان وتخليق الحياة العامة والرعاية والتكافل والتضامن والتآزر وغير ذلك من

الأخلاق والشيم التي دعا إليها الإسلام أو رسخها في إطار مبادئه العامة كمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومبدأ الربط بين التدين وبين حسن المعاملة وغير ذلك من المبادئ البانية الهادفة إلى الارتقاء بالمجتمع البشري عامة إلى أرفع المستويات.

• **الأوضاع الاقتصادية :** والاقتصاد من أهم الموضوعات التي تشغل بال الناس قديما وحديثا، غير أن الاقتصاد المعاصر اصطبغ بكثير من الاستغلال والاحتكار وأكل أموال الناس بالباطل وهضم حقوق الناس وأثبت النظام الاقتصادي العالمي المعاصر فشله في حل مشكلات الدول الفقيرة ومعالجة تورطات الأفراد وحاجاتهم، ولم يفلح إلا في تكديس الأموال الربوية والانتهازية في صناديق المصارف والمؤسسات المالية الدولية أو تراكم الديون ومضاعفتها على الفقراء من الدول والشركات لفائدتها بدون مبرر إنساني ولا مسوغ عقلي ! مثلما أثبتت المذاهب الاقتصادية الوضعية على امتداد الزمن فشلها وعجزها بالقياس إلى النظام الاقتصادي الرباني العادل المريح الذي بينه الوحي.

فكان لزاما أن تتناول خطبة الجمعة حقائق الاقتصاد الإسلامي بالتعريف والتحليل، وبسط خصائصه ومميزاته على أنظار المؤمنين ليتبينوا الفرق بين المنهج الرباني العادل في تأسيس الاقتصاد البشري على مبادئ الكرامة والعدالة والمصلحة المشتركة لا المصلحة الأحادية

الفردية، وبين المنهج البشري الوضعي الظالم في بناء الاقتصاد على أساس نزع الملكية الفردية أو تحديدها تحت ادعاء المصلحة العامة، أو التسيب المادي الذي لا يحاسب بعض الأفراد على ما يملكون مهما كثر إلا بمقتضيات لا تكفل للفقير في مال الغني حقا ولا تحد من جشع الغني واكتناز الأموال في خزائنه بغير حساب !

وكثير من المسلمين في العالم يجهلون حقيقة الاقتصاد الإسلامي وحكمته وطرقه وقواعده وأسسه، فتراهم يسألون ويستفسرون عن المناهج المستجدة في السلف والصرف والبيع والشراء، فإن لم يعلموا من ذلك ما يحصنهم وينفعهم وقعوا فريسة عدوين خطيرين :

فإما أن يستغلوا وتهضم حقوقهم فيؤدي بهم ذلك إلى أن تأكلهم السوق أو تنهبهم القوى العاتية أو يؤول أمرهم إلى الإفلاس، وذلك أهون الخطبين وأخف الضررين، لكن أحلاهما مر شديد المرارة.

وإما أن يتعاملوا بالطرق المحرمة، فيعيشون عبيدا للمادة ونهبا لأصحاب الديون، مع أنهم يرتكبون الحرام ويطعمون بالحرام ويعولون رعاياهم بالحرام، وتلك هي الطامة الكبرى، إذ كان تفشي الحرام في المجتمع مهلكة للفرد والجماعة معا !

• **الأوضاع السياسية** : والمقصود بها التوعية بحقيقة السياسة الشرعية الثابتة ومبادئها وأركانها، والتفريق بينها وبين السياسات الوضعية المتقلبة. ويتعلق

ذلك بتقرير مبدأ الطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية الله، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وكذا بالتوعية بضرورة المشاركة الإيجابية في ترشيد الجماهير وتوجيههم إلى السير في درب الريادة والسيادة ليعيش المسلمون في عز وسؤدد وكرامة، وليتحصنوا من الضعة والهوان والمذلة. فإذا تعرضت بلاد الإسلام لطغيان طاغية أو هجوم غاز أو إهانة غاشم كان المسلمون قاطبة مستعدين للذود عن بيضة الإسلام ونصر دين الله والجهاد في سبيل الله، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وتكون الحاكمية لله وحده، وتساس البلاد والعباد بمنهج الله ويطبق في الناس شرع الله.

وإن عاشت البلاد ظروف اختيار ممثلي الأمة في المجالس المنتخبة أو اختيار منهج عمل يعرض على الأنظار العامة لإبداء الرأي والمشورة تناولت خطبة الجمعة الموضوع بحكمة وعناية، وقلبته على أبعاده المختلفة وعرضته على النظر الشرعي وحثت الناس على القيام بواجب النصح والإدلاء بالصوت وحسن الاختيار واستفتاء القلب وعدم الانخداع بالشعارات البراقة والدعايات المضللة والوعود الكاذبة ونصحتهم باليقظة وحذرتهم من بيع الضمير والانزلاق في مهاوي الزيف والتقليد الأعمى. وحرصت على توعية الناس بالمنهج الإسلامي في الحكم والسياسة والتعيين والاختيار، وذكرت المتطلعين إلى المناصب بأنها مسؤولية وأمانة وتكليف وما هي بلهو ولا عبث ولا تشريف. وإذا أحسن مسؤول في أداء واجبه دعي له

بالتوفيق والهداية والرشد والثبات، وإن أساء أو ضل أو غوى بين له الحق والرشد والصواب بلهجة لينة جالبة مرغبة في الحق والرجوع إليه والاستماع للنصح والاستزادة منه، واجتنبت جميع أسباب الفتنة والاضطراب .

معالجة هموم الأمة

المسلمون في العالم شعوب وقبائل قد تكون لغاتها متعددة ولهجاتها مختلفة، وهم يتفاوتون إيمانا وعلما وحضارة وغنى (يا أَيُّها النّاسُ إنّا خَلَقْناكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفوا، إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ، إنّ اللهَ عَليمٌ خَبير)[1] ؛ ولكن المسلم أينما كان وكيفما كان يعتبر نفسه عضوا في جسد واحد هو هذه الأمة الإسلامية المنتشرة في أرض الله، (إنّ هَذِهِ أُمَّتُكُمُ أُمّةً واحِدَةً وَأَنا رَبُّكُمْ فاعْبُدون)[2] (وَأَنّ هَذِهِ أُمّتُكُمُ أُمّةً واحِدَةً، وَأَنا رَبُّكُمْ فاتَّقون)[3] فحيثما ارتفع الأذان والتكبير عد المسلم ذلك المكان وطنا له، على حد قول الشاعر :

وأينما ذُكِرَ اسمُ اللهِ في بَلَدٍ
عَدَدْتُ أرجاءَهُ مِن لُبِّ أوطاني

فالمسلم أينما كان يحمل هم أخيه المسلم أينما وجد، وإذا عاش بعض أبناء الأمة مشاكل أو ضوائق شعر بها

---

(1) سورة الحجرات 13/49.

(2) سورة الأنبياء 91/21.

(3) سورة المومنون 53/23.

إخوانهم في بقية مناطق العالم، وهبوا للمشاركة في الهم، والمساعدة في المحنة، والنجدة وتخفيف الآلام.

ومن مقاصد خطبة الجمعة، كما سبقت الإشارة إليه آنفا، ترسيخ مبدأ وحدة الأمة الإسلامية قاطبة، وإذكاء روح التآخي والتآزر والتناصر بين أفرادها، والتقارب والتكامل بين شعوبها وأقطارها، ومسايرة أحوال الناس العامة، ومعالجة همومهم المشتركة ومدارسة مشاكلهم المستجدة، أفرادا وشعوبا وتجمعات، لتعطي الحل الرباني والعلاج الإسلامي والتوجيه الراشد، ولتؤلف القلوب وتجمع الصفوف وتشيع بين الأغلبيات الإسلامية المتساكنة روح التضحية والمسؤولية العامة، وتنشر بين الأقليات الإسلامية المهاجرة أو المنبثة في مختلف بلاد العالم خصال التكامل والتراص لتقوية الجانب وشد العضد ؛ وتدرس مقوماتها الذاتية والنفسية والاجتماعية والإيمانية، وتبحث في علاقاتها الداخلية والخارجية وفي معاملاتها مع الأمم والشعوب الأخرى ، وتحث بإصرار على كل ما من شأنه أن يضمن استقلاليتها واستقامتها وريادتها، ويستنهض الهمم لبناء صرحها الحضاري والعلمي..

غيوم قاتمة

غير أن في المجتمعات الإسلامية كثيرا من السلبيات والخوارق والضلالات، لا ينبغي التركيز عليها والإطالة في بسطها والكشف عن كوامنها وتتبع جزئياتها إلا بقدر ما يحقق التحذير اللازم منها والدعوة الضرورية إلى

محاربتها وتغييرها ولفت الأنظار إلى خطورة التمادي فيها والسكوت عنها، وما يشوق إلى معرفة سبيل التصحيح وبسط الخصال الإيجابية وجلب النفوس إليها وصرفها عما سواها من البدع والضلالات والمفاسد والمنكرات.

ولتحقيق ذلك لا بد من اجتناب التعيين والتصريح والتطويل والتهويل والتمويه والإملال والخوض في التوافه والأمور المؤقتة والأحوال المتقلبة والظروف الآنية الزائلة.

ولابد من المحافظة التامة على استقلال الخطبة عن جميع المؤثرات، والاحتراز الحذر من مختلف الضغوط التي قد يحلو لبعض الجهات أن تمارسها على الخطبة أو الخطيب تحت أي مبرر أو ادعاء، لأن الخطبة رسالة سامية ربانية ينوب فيها الخطيب عن المبلغ الأول رسول الله ﷺ، ويوقع عن رب العالمين سبحانه وتعالى، فلا يليق به أن يخالف أمر الله لإرضاء جهة، ولا أن يحيد عن منهج رسول الله ﷺ نزولا عند رغبة أو استجابة لضغط أو تحقيقا لمصلحة ذاتية.

المحجة البيضاء

- التأسي بالمنهج النبوي .
- الالتزام بالضوابط الشرعية .
- التطور والتجديد والمسايرة .

المحجة البيضاء

• التأسي بالمنهج النبوي :

إن منهج مواكبة الخطبة الصحيح للقوة والصدق والشرعية والواقعية والتأثير والفاعلية هو التأسي بالمنهج النبوي في الخطبة شكلا ومضمونا وروحا وأهدافا ومقاصد.

ومن خلال الخطب النبوية المأثورة عنه ﷺ نستخلص المنهج الشكلي التالي للخطبة[1] :

- كان النبي ﷺ يفتتح بحمد الله والثناء عليه والشهادتين.

- لم يكن له ﷺ (شاويش) يدخل بين يديه إلى المنبر.

- كان يخطب على الأرض، وعلى المنبر (وكان منبره ثلاث درجات)، وعلى البعير، وعلى الناقة.

- كان يتوكأ على عصى، أو قوس، لا سيف.

- كان إذا استوى على المنبر واستقبل الناس أذن المؤذن.

- كان ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، وكتاب التفسير، أبواب : وأنذر عشيرتك الأقربين، إن هو إلا نذير لكم، وينظر الاستذكار 126/5، وسبل الهدى والرشاد 222/8-226.

- كان يرفع صوته بالإنذار حتى لو كان بالسوق رجل لسمعه، ومرة وقعت خميصته على عاتقه عند رجليه.

- كان ﷺ يشير بإصبعه السبابة في خطبه عند ذكر الله تعالى ودعائه.

- كان يقصر أحيانا ويطيل أحيانا بحسب حاجة الناس.

- وكانت خطبه العارضة ﷺ أطول من خطبه الراتبة، لكن صلاته ﷺ كانت قصدا، وخطبته قصدا، ولم يكن يطيل الموعظة يوم الجمعة، إنما هي كلمات يسيرات، وعموما فقد كان ﷺ يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويكثر الذكر ويقصد الكلمات الجوامع.

- كان يستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات.

- كان ﷺ يخطب كثيرا بالقرآن.

- كان يقرأ سورة (ق) كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس، أو يقرأ (وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ)[1].

- كان يقرأ تبارك، براءة، المائدة، التوبة، الزمر، الكافرون، الإخلاص.

- كان يأمر وينهى إذا عرض له أمر.

---

(1) سورة الزخرف 77/43.

- كان يدعو الرجل في خطبته : تعال يافلان، اجلس يافلان، صل يافلان..

- كان يأمر بمقتضى الحال في خطبته : فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها.

- كان يقطع الخطبة للحاجة تعرض أو السؤال يطرح عليه فيجيب عنه ثم يعود إلى خطبته فيتمها

- ربما نزل عن المنبر لعمل ثم رقي وأتم[1].

ومما يستفاد من ذلك منهجيا في خصوصيات الخطبة والخطيب :

أولا : أن تتقيد الخطبة شكلا ومضمونا بالطريقة الشرعية التي انتهجها رسول الله ﷺ وبينها عمليا في خطبه الكثيرة التي ألقاها في الجمع منذ أول جمعة صلاها، إلى أن اختاره الله عز وجل إلى جواره، ثم اتبعها من بعده سلفنا الصالح - رضوان الله عليه - خلفا عن سلف.

ثانيا : أن يحفظ للخطبة استقلالها عن المؤثرات المتقلبة والأهواء البشرية، فلا يجارى بها شيء من المطالب الطامعة أو العادات الباطلة أو التقاليد الضالة أو الأعراف الزائغة عن قواعد الشرع وأحكامه وآدابه، حتى لا

(1) تنظر قصة الحسنين وقد أقبلا يتعثران ورسول الله ﷺ يخطب، فنزل من المنبر وحملهما، في سنن أبي داود، باب 230 : الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث: عون المعبود 458/3 ح 1096، وفي زاد المعاد 190/1 وغيرهما.

تكون لشيء ولا لأحد ربانية على الخطيب أو على الخطبة. فإن لم يحفظ للخطبة اسقلالها ولا للخطيب استقامته على الشرع وأحكامه والالتزام بحدوده، أدى ذلك إلى تحوير الدين ومبادئه، أو تغيير النظام الإلهي ومقتضياته لتتناسب مع أهواء الناس وأوضاعهم، ورغبات السادة ونزعاتهم، وتقلبات السياسة البشرية وغاياتها، رغبا في نفع دنيوي عاجل، أو رهبا من ضرر محتمل، وهو مسعى خائب مهلك، أولى منه وأسلم عند الله تعالى طلب الآخرة وثوابها : (مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فيها ما نَشاءُ لِمَن نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْموماً مَّدْحوراً، وَمَنْ ارادَ الآخِرَةَ وَسَعى لَها سَعْيَها وَهُوَ مؤمِنٌ فَأُولَئِكَ كانَ سَعْيُهُم مَّشْكورا)[1].

إن من يستجيب لتلك الأهواء والنزعات في خطبته تحت ظل المرونة واليسر في الدين، إما أنه لا يفهم حقيقة هذا الدين ومقاصده وأصوله وثوابته، وإما أنه يتخذ الدين مطية لتحقيق الأهواء، أو يعتبره ألعوبة بأيدي السفهاء ؛ والحالان كلاهما ضلال وإخلال بالمنهج النبوي الرشيد في خطبة الجمعة ؛ ومن أساسيات هذا المنهج أن يستقيم الخطيب على نهج الكتاب والسنة، ويجتنب الأهواء الضالة والمزالق المهلكة، ويحكم في أقواله وأفعاله وعلاقاته وتوجيهاته أمر الله ورسوله، ويذكر أن مرده إلى الله فمسؤول عن أمانته ومحاسب على مواقفه : "فَلِذَلِكَ فَادْعُ

(1) سورة الإسراء 17/18-19.

وَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ اهْواءَهُمْ، وَقُلْ آمَنْتُ بِما أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ، اللهُ رَبُّنا وَرَبُّكُمْ، لَنا أَعْمالُنا وَلَكُمْ أَعْمالُكُمْ، لا حُجَّةَ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ، اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنا، وَإِلَيْهِ الْمَصيرُ"[1]. فلكل عمله ومنهاجه، والنبيه من طلب رضى الخالق وحرص عليه ثم لا يضيره أن يسخط مخلوقا، وعلم أن رضى المخلوق إن كان فيه سخط الخالق مهلكة وتعلق بما لا يغني شيئا ؛ وفي الحديث الصحيح : **"مَن أرضَى اللهَ بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يُغْنُوا عنه من الله شيئا"**[2].

ذكر الإمام الشافعي أن أقل مايجزئ من الخطبة أن يحمد الله في أول كل واحدة منهما، ويصلي على النبي ﷺ، ويوصي بتقوى الله، ويقرأ شيئا من القرآن في الأولى، ويدعو في الآخرة. وقال : ولا تتم الخطبة إلا أن يقرأ في إحداهما بآية أو أكثر، ويقرأ في الآخرة أيضا بآية أو أكثر، والقراءة في الأولى أكثر ؛ فلقد كانت خطب النبي ﷺ تشتمل على ما يأتي :

1- حمد الله والثناء عليه بآلائه وصفات كماله وتعداد محامده، ثم الشهادة بكلمة التوحيد، والأمر بالتقوى والطاعة لله ولرسوله والعمل بالكتاب والسنة، وروى الأئمة الشافعي وأحمد ومسلم وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله

(1) سورة الشورى 13/42.

(2) أخرجه الطبراني في الكبير268/11، وانظر : إتحاف السادة المتقين 139/6، والترغيب والترهيب 200/3، وكنز العمال 10/16 ح 43705.

عنهما أن رسول الله ﷺ خطب يوما فقال : "**إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونستهديه ونستنصره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى حتى يفيء إلى أمر الله**"[1].

2- قواعد الإسلام فيبسطها ويعرضها على المنصتين وقلوبهم متفتحة للخير وأفئدتهم متطلعة للهدى وأعناقهم مشرئبة إلى ما يغسل الأدران ويقوي الإيمان، فتستغل الأحوال وترسخ العقائد وتعلم الأحكام.

3- الشرائع والأحكام، فيبين الحلال ويرغب فيه، ويكشف الحرام ويحذر منه ؛ يفتح القلوب لكل سلوك طيب، ويوصد الأبواب أمام كل ضلال وانحراف، يعلم الناس كيف يمارسون حياتهم في ظلال الإيمان والإسلام بعيدا عن المنكرات والمحرمات قريبا من الصلاح والتقوى والطيبات، يذكر بالأمور الواضحات البينات ليلتزمها الناس، ويوضح الأمور المشتبهات التي لا يعرفها كثير من الناس ليحذروا منها ويحترسوا من الزلل إلى ضلالها، روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ في خطبته سورتي المائدة والتوبة ثم قال : "**أحلوا ما أحل الله فيهما وحرموا ما حرم الله تعالى فيهما**"[2].

---

(1) أخرجه مسلم 593/2 ح 868 وغيره.

(2) سبل الهدى والرشاد.. 226/8. والحديث رواه عبد بن حميد بِسَنَدٍ ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما.

4- ذكر الجنة والنار والمعاد والحساب والثواب والعقاب، وتبيان مواقع رضى الله والترغيب فيها، وموارد غضبه والترهيب من ورودها، وتحسيس الناس بنهايتهم، بمثل قوله ﷺ : **''ألا إن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، ألا وإن الآخرة أجل صادق، يقضي فيها ملك قادر، ألا إن الخير كله بحذافيره في الجنة، ألا وإن الشر كله بحذافيره في النار، وأنتم من الله عز وجل على حذر، واعلموا أنكم معرضون على أعمالكم ''فَمَن يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَّرَهُ، وَمَن يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَّرَهُ''**[1] ؛ أو قوله ﷺ : **''يا أيها الناس إن لكم علما فانتهوا إلى علمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، فإن المؤمن بين مخافتين، بين أجل قد مضى لا يدري كيف صنع الله فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري كيف الله بصانع فيه ؛ فليتزود لنفسه بنفسه، ومن دنياه لآخرته ؛ الدنيا خلقت لكم، والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت مستعتب وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار''**[2].

5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحذير من البدع والضلالات.

6- التذكير بأيام الله، حتى كان يعرف ذلك في وجهه ﷺ، وكأنه نذير قوم يصبحهم الأمر غدوة، وينذر من قرب الساعة.

---

(1) أخرجه الشافعي في المسند : 1/148 ح 429.

(2) أخرجه البيهقي في الشعب، وابن أبي الدنيا، وانظر سبل الهدى والرشاد.. 8/226.

7- التحذير من الاعتداد بالنفس أو الافتخار بالعمل، كأن يقول : "**أيها الناس إنكم لن تطيقوا أو لن تفعلوا كل ما أمرتم به ولكن سددوا وأبشروا**"[1].

8- الدعاء والاستغفار : روى البزار والطبراني عن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يستغفر للمومنين والمومنات والمسلمين والمسلمات كل جمعة"[2].

9- فإذا خطب في النساء - وكان ﷺ يخصهن وحدهن ببعض خطبه - حثهن على الصدقة وحسن السيرة وطاعة الأزواج بعد طاعة الله عز وجل ورغبهن في التقوى والجنة وما يقرب إليها، وحذرهن من المعصية والنار وما يؤدي إليها.

• الالتزام بالضوابط الشرعية :

ولعل أهم تلك الضوابط - فيما يرجع للخطيب - أن يحافظ على بعض الأمور كالاتزان في النقد والتحليل والتوجيه، والتوسط والاعتدال في الأفكار وحفظ التوازن في الانفعال وفي الحركة وفي الإطالة في الكلام وفي رفع الصوت وأن يعتمد أثناء قيامه على عصا أو نحوها، وأن يظهر متزينا مرتديا أحسن ثيابه وأنظفها، ويسلم إذا خرج وإذا صعد على المنبر وواجه جموع المؤمنين. وأهم الضوابط فيما يعود للخطبة :

---

(1) سبل الهدى والرشاد.. 222/8.

(2) مجمع الزوائد 190/2، وسبل الهدى والرشاد.. 226/8.

أن يحافظ على منهجها الشكلي كما أثر عن النبي ﷺ، كما بيناه آنفا، ثم يحلل الخطيب موضوعه بجدية وموضوعية واحتجاج واستدلال واستنتاج وتوجيه وترغيب وترهيب، مغلبا طابع التبشير والإنذار والتذكير ولفت الأنظار، مبلغا عن الله ورسوله الدين الحق بكل صراحة وكل صدق ؛ وينهي الخطبة الأولى بدعاء خفيف، ويجلس بين الخطبتين جلسة خفيفة لا يتكلم فيها بشيء إلا أن يذكر الله في السر ذكرا خفيفا كأن يقول : "**رَبَّنا آتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النّارِ**"[1] ويعيد في ابتداء الثانية الحمد والشهادة والتصلية، وإن شاء أن يقتصر فيها على بعض الآيات فلا ضير، ثم يختم بالدعاء بالمعافاة من الأمراض والأدواء، والنصر على الأعداء، والاستغفار للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، ولا بأس أن يدعو بما يناسب أوضاع الأمة فيسأل تفريج كربها إن كانت مكروبة، ويسأل رفع الظلم عنها إن كانت مقهورة، ويسأل ذهاب الفتن إن كانت مفتونة ببدع أو منكرات، ويسأل لها النصر إن كانت في حالة مواجهة مع الأعداء.. ويجعل خطبته قصيرة وصلاته مطولة، والخطبة الأولى أطول من الثانية، لحديث الإمام مسلم عن عمار بن ياسر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : "**أطيلوا الصلاة وقَصِّروا الخُطبة**"[2].

---

(1) سورة البقرة 199/2.

(2) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، شرح النووي 406/6 الحديث 869، وانظر الاستذكار 126/5.

• التطور والتجديد والمسايرة :

كان رسول الله ﷺ يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم، ذلك أن خطبة الجمعة - كما بينا سابقا - فرصة ذهبية للتواصل المستمر والمنتظم المتجدد بين الدعاة حملة أمانة التبليغ عن الله ورسوله ومسؤولية الدعوة إلى الله الحكيم المطوقين بنشر دينه القويم وتعليم منهجه وإحياء سنة نبيه محمد ﷺ، وبين قلوب المؤمنين وعقولهم وضمائرهم وأحوالهم واهتماماتهم .

وتتغيى الخطبة في الإسلام غايات بعضها خاص بالفرد في ذاته وتكوينه وتوجيهه، وبعضها عام يتصل بالجماعة وترشيدها وترسيخ دعائم الحق والعدل فيها :

فأما ما يهم الأفراد فالخطبة تهدف إلى ترقيق قلوبهم وتهذيب نفوسهم وتعريفهم بأمر دينهم وتقريبهم من ربهم وترغيبهم في الخير والبر والطاعة والاستقامة، وتنفيرهم من الشر والمنكر والمعصية والضلالة.

وأما ما يتصل بالجماعة فتهدف الخطبة إلى تشخيص الأدواء المنتشرة وفحص الأمراض المتفشية اجتماعيا وأخلاقيا وسياسيا وفكريا ومنهجيا وسلوكيا، مع وصف العلاجات الروحية المؤثرة والمناهج الرشيدة المصلحة.

ووقت صلاة الجمعة وخطبتها من أفضل الأوقات عند الله تعالى ؛ إنه يوم الجمعة، وما أدراك ما فضل يوم الجمعة ! ومكانتها من العبادة في الذروة، ومكانها مؤسسة

فذة هي بيوت الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وأعطيت في الإسلام مكانة لا تطاول، ومهمة لا تضاهى، ورسالة لم تعطها مؤسسة في دين ولا في شرع ولا في مذهب ؛ رسالة دعوية تثقيفية تربوية توجيهية هادية، كان لها بالفعل أثر جم كبير في تكوين الصالحين والعارفين والساسة والمفكرين على امتداد الأعصر وتعاقب الدهور.

وروح ذلك كله وقوامه وركيزته وعمدته هو الخطيب الذي سخره الله عز وجل بفضله لهذه المهمة الجسيمة وطوقه بهذه الأمانة العظيمة، والذي بالعلم الذي آتاه الله وبالأسلوب الذي يوفقه إليه الله وبالمواقف والتحليلات والاستشهادات والاستدلالات والاستنتاجات التي يضمنها خطبته أو يزين بها كلامه ؛ يمكن أن يقيم أو يقعد، وأن يوقظ أو يخمد، وأن ينهض أو يهمد.

ومن أعظم نعم الله الحليم الكريم على عبده أن يوفقه إلى توظيف طاقته واستعمال موهبته وتسخير قدراته ومعارفه في الدعوة إلى الله ونشر دين الله وتصحيح العقيدة وترسيخ الإيمان وتعليم العلم ونشر الفضيلة وإحياء السنة وإماتة البدعة وإحقاق الحق وإزهاق الباطل وتشجيع الرشد وأهله وفضح الضلال وأصحابه ومحاربة المنكرات والتحذير من الغي والفساد.

خصائص خطبة الجمعة

- أ - من حيث قصدها.
- ب - من حيث غايتها
- جـ - من حيث طبيعتها.
- د - خصائص أخرى.

خصائص خطبة الجمعة

أ ـ من حيث مصدرها :

تتميز خطبة الجمعة من حيث مصدرها بميزتين أساسيتين :

(1) أنها قول يعتمد الصدق والأمانة والاقتناع والإبلاغ والإقناع بالحسنى وطيب الكلام والصوت الواضح يرتفع وينخفض بحسب المقتضيات، والخطاب المتنوع تراعى فيه المقامات الزمانية والمكانية، وتراعى فيه أحوال المخاطبين المختلفة. فإذا قرأ الخطيب شيئا من القرآن رتله وبينه وأحسن إخراج حروفه وكلماته ؛ وإذا استشهد بحديث وثقه وأحسن روايته ؛ وإذا اشتمل النص أو الشاهد على إجمال فصله بما لا إملال فيه ولا إخلال ؛ وإذا اشتمل على كلمات أو تعابير يجد العادي من الناس فيها إبهاما أو غموضا بينه أو فسره بالوجيز المقرب المبسط الموضح ؛ وإذا استعرض أفكارا رتبها ترتيبا مناسبا، وقدم لها الأدلة المقنعة، وخاطب بها العقل والعاطفة معا ؛ وإذا تكلم نطق بالحق وكان صارما فيه بلا تهور ولا تجريح ولا خوف إلا من الله تعالى، ولا طمع إلا في نيل ثوابه ورضاه.

(2) أنها ترجمان حياة الخطيب وسلوكه، حيث تقتضي هذه المهمة الجسيمة وجود تطابق وتناسب بين قوله وعمله، إذا أراد للخطبة أن تؤدي مهمتها الإقناعية والتأثيرية، ولذا قرن الحق سبحانه وتعالى بين الدعوة قولا واقتناعا وبين العمل الصالح منهجا وسلوكا، وبين أن أفضل المراتب مرتبة من يحسن الدعوة إلى الله وتبليغ الحق والخير بالخطبة أو بغيرها، ويقرن دعوته القولية بالسلوك العملي الرشيد والعمل الصالح في حياته الخاصة وفي مواجهة الآخرين ومعاملتهم حتى تسري عوامل المودة والألفة بين الناس، وهذا أمر لاشك يحتاج إلى صبر وتضحية وإلى أناة وحكمة : **(وَمَنْ احْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعا إِلى اللهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّني مِنَ الْمُسْلِمينَ، وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ، ادْفَعْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذا الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَميمٌ، وَما يُلَقّاها إِلا الَّذينَ صَبَروا، وَما يُلَقّاها إِلا ذو حَظ عَظيم)**[1].

والخطيب قدوة غيره وأسوة له، فينبغي أن يتلطف في توجيه النصح، وأن يحفظ لسانه من أساليب السب والقدح والشتم والفضح، وأن يتسم سلوكه بالاستقامة والتواضع والتأمل والقراءة ومداومتها، وأن يلتزم نهج الوقار والورع والحلم والبعد عن الشبهات والأباطيل والخوض في الفضول واللغو، وأن يجتهد في أن يكون قوي الإحساس بحال الأمة ومطامحها، بصيرا بالمنكرات الشائعة وسبل

(1) سورة فصلت 41/ 32-34.

علاجها، خبيرا بأوجه البر والخير ووسائل نشرها وأساليب الحث عليها.

ب ـ من حيث غايتها :

وتتميز خطبة الجمعة من حيث غايتها بأنها تهدف إلى تشخيص الأدواء التي يتخبط فيها الأفراد أو تحيق بهم، والتي تنتشر في المجتمع أو تهدده ؛ تصف الخطبة ذلك بإيجاز وعموم ليكون مدخلا للإصلاح وتمهيدا له وإثارة لانتباه الناس إلى فحوى الخطاب والمعنى المقصود. فإذا تشخص الداء تطلعت النفوس لمعرفة الدواء وتهيأت لاستيعاب الخطاب، حينئذ تعمد الخطبة إلى وصف العلاج الناجع بدقة وتفصيل واستدلال وتمثيل وحكي واعتبار وترغيب وترهيب، لإحداث الأثر المنشود في عقل السامع ووجدانه، واستمالة فكره وقلبه، وتصحيح نهجه وسلوكه، فيتجه إلى الخير والهداية، ويسعى إلى سبل الرشاد والاستقامة.

فإذا حققت الخطبة ذلك الطموح، واستمالت إليها القلوب والنفوس فقد تتحول من كلام ينثر ووعظ يلقى إلى تسلية فعلية للحزانى أو تشجيع محرك للجبناء أو تقوية محفزة للضعفاء أو تأمين مطمئن لليائسين أو تفريج نفسي للمكروبين أو تصبير متفائل للقانطين أو تهذيب مطهر لنفوس الغاوين أو تطبيع بالفضائل والمكارم أو ربط للصلة المتينة بين المخلوقين وخالقهم أو غرس بذور الخير

والجد والمثابرة في أعماق الكسالى والحائرين أو تنفير من الضغائن والأحقاد والبغي والفساد والميل مع الشهوات والمهلكات أو زرع الميل إلى خدمة الدين والأمة بالمشروعات البانية والأعمال الاجتماعية النافعة والتضحيات المادية والمعنوية.

وتتحقق الاستجابة من السامعين وجميل الفائدة لهم بمدى تفتح القلوب واستعدادها، وحصر الانتباه في الخطبة ومراحلها، وحسن الإنصات إليها، واجتناب كل لغو وعبث يشغل عنها، والإقبال التام عليها بالفكر والقلب والجوارح، والتركيز والتأمل والتدبر حتى يتعظ المسلم بما يسمع، وتميل نفسه إلى اعتناقه وانتهاجه في حياته العملية، فتزيده خطبة الجمعة إيمانا وهداية، وتزيد قلبه يقينا واطمئنانا. قال تعالى : (إِنَّما الْمؤمِنونَ الَّذينَ إِذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلوبُهُمْ وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلون)[1]، وقال ﷺ : ''إن المسلمَ إذا اغْتَسلَ يَوْمَ الجُمُعة ثم أَقْبَلَ إلى المسجد لا يُؤذي أحداً، فإن لم يَجِد الإمامَ خَرجَ صَلّى ما بَدا لَهُ، وإن وَجد الإمامَ قد خَرجَ جَلَسَ فاسْتَمَعَ وأَنصَت حتى يَقْضِيَ الإمامُ جُمُعَتَهُ وكَلامَه، إنْ لم يُغْفَرْ لَه في جُمُعَتِه تلك ذنوبُه كلُّها أن تكون كَفّارةً للجمعة التي تليها''[2].

(1) سورة الأنفال 2/8.

(2) أخرجه الإمام أحمد عن نبيشة الهذلي، وينظر عند المنذري والهيثمي وابن القيم في زاد المعاد 386/1. وقد تقدم في المدخل : ''الخطبة في الإسلام'' ص 10.

ج- من حيث طبيعتها :

وتتميز خطبة الجمعة من حيث طبيعتها بأنها رسالة توجيه وأمانة تبليغ ؛ فالقرآن والسنة كلاهما يحمل الأجيال كل الأجيال مسؤولية التوجيه ومهمة التبليغ بأي طريق أمكن الوصول به إلى قلوب الناس وضمائرهم. والأنبياء والرسل أجمعون عليهم الصلاة والسلام إنما بعثهم الله مبشرين ومنذرين، أي دعاة موجهين وأمناء مبلغين رسالة الخير والإصلاح إلى العالمين : (وَما نُرْسِلُ الْمُرْسَلينَ إلا مُبَشِّرينَ وَمُنْذِرينَ، فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنون)[1].

وخاتم النبيئين والمرسلين سيدنا محمد ﷺ إنما بعثه الله بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، يضيء طريق البشر ليهتدوا في ظلمات الحياة، وكانت مهمته الأساسية تبليغ الرسالة وتوجيه العباد إلى خيرهم وسعادتهم : (وَما أَرْسَلْناكَ إلا كافَّةً للناس بَشيراً وَنَذيراً، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النّاس لا يَعْلَمون)[2] ؛ (يا أيّها الرَّسولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ، وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالاتِهِ، وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ، إنَّ اللهَ لا يَهْدي الْقَوْمَ الْكافِرين)[3].

(1) سورة الأنعام 49/6.

(2) سورة سبأ 28/34.

(3) سورة المائدة 69/5.

ثم كان العلماء ورثة الأنبياء أولى الناس بحمل هذه الأمانة وأداء هذه الرسالة، فقام السلف الصالح منهم بواجب الدعوة إلى الله وإلى تطبيق شريعته، وقدموا النصح للخلفاء والأمراء من غير تجاوز لحدود اللياقة ولا إثارة للغوغاء ولا تحريك للفتنة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وأسهموا في بناء الفرد الصالح التقي، والمجتمع النظيف النقي، وواجهوا المواقف الحرجة بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلوا القريب والبعيد، وحاجوا المهتدي والضال، ونصحوا الحاكم والمحكوم.. وعالجت خطبهم الأوضاع الفاسدة والنفوس المنغلقة والقلوب النافرة ؛ فانصلح بحكمتهم الفاسد، وانفتح برشادهم المنغلق، وانقاد بموعظتهم النافر.

تلك مهمة الخطيب الأولى وغاية الخطبة الحقيقية ؛ ولا مجال للتقصير في هذه الأمانة أو الإخلال بها أوتشويهها كأن يخرس لسان الخطيب عن كلمة الحق أو يكتم من علمه شيئا رضى منه بالحياة الدنيا واطمئنانا بها، أو يخالف قوله فعله، أو يخشى في الله لومة اللائمين ؛ ففي صحيح الأثرعن سيد البشر ﷺ : "**مَن كَتَمَ عِلْماً أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِلِجامٍ مِن نارٍ**"[1].

د ـ خصائص أخرى :

وهناك خصائص أخرى من الضروري التنبه إليها، مثل سهولة العبارة ووضوح المعنى وسلامة اللغة وفصاحة

(1) صحيح ابن حبان 95.

المنطق وتناسب المبنى مع المعنى وتناسبهما مع الإشارة والحركة فقد كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، كما ورد في الأثر[1].

وخير الخطب وأبلغها أثرا ما ألقيت بانفعال طبيعي صادق جاد متأثر بالموضوع والأسلوب، من غير تكلف ولا تصنع، مع صدورها عن نفس الخطيب وشعوره وإحساسه.

ولاختيار الموضوع أهمية بالغة، إذ يحسن أن تتناول الخطبة موضوعا مناسبا محدودا أو فكرة واحدة محصورة، ثم تحضر بعناية وتدرس من مختلف الجوانب وتبسط وتوضح وتبلغ للناس بالأسلوب المناسب للموضوع وللمخاطبين به ولظروف إلقائه، مع الاستدلال والاحتجاج بالمناسب من النصوص.

كما يحسن أن تعد الخطبة إعدادا جيدا دقيقا يتبع فيه منهج التيسير لا التعسير، والتربية لا التعرية، والتبشير لا التنفير، والترغيب قبل الترهيب ؛ في إطار التربية الإسلامية الصحيحة والتوعية الدينية الرشيدة والحكمة الربانية والسنة النبوية.

---

(1) أخرجه ابن ماجة والنسائي، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

الأبعاد التربوية لخطبة الجمعة

- عملية التربية ومكوناتها.
- مصادر معرفية ضرورية.
- شروط سلوكية فاعلة.
- الخطبة التربوية إنقاذ وإسعاد

الأبعاد التربوية لخطبة الجمعة

عملية التربية ومكوناتها :

انطلاقا من مفهوم التربية في عمومه الأصلي الذي يعني مطلق الرعاية والعناية والتدبير، ويعني في دلالته الخاصة عملية إعداد الرجل الصالح الرشيد، والمرأة المستقيمة المقتدرة، يمكن أن نتبين أهم غايات التربية وأهم المكونات التي ينبغي أن تستمد منها العملية التربوية عناصر نجاحها والعوامل الفاعلة فيها المؤدية بها إلى أن تثمر مثل ذلك الرجل الصالح وهاته المرأة المستقيمة، باعتبار خطيب الجمعة واحدا من حملة لواء التربية والتوجيه.

فالمربي تقع على كاهله مسؤولية رعاية الأجيال الواصلة والأجيال الصاعدة معا، وتوجيه قدراتها وصقل مواهبها، واستثمار الطاقات الكامنة فيها ليأخذ كل فرد طريقه الصحيح السليم في الحياة منضبطا فيما يتلقاه وفيما يوجه به وفيما يتوخاه بضوابط الخير والصلاح والكمال، منتهجا به نهج الإخلاص والإتقان وتسخير ما يمكن تسخيره من الطاقات والإمكانات لصالح البشرية وتطويرها.

وتلك غايات ومطامح لا تجد نموذجها الأنفع والأهدى إلا في المنهج الرباني المتكامل الذي نزل به القرآن نورا وهدى للناس، وبينته بالتطبيق العملي سير الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وتجلى بوضوح وعزم وثبات ومثابرة في سيرة خاتم النبيئين وإمام المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ. حتى وصفه الله عز وجل بأنه على خلق عظيم، لأنه جاء مطابقا لما دعي إليه وصار هو يدعو إليه فقال في حقه الحق سبحانه وتعالى : (**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)[1] وكان سلوكه؟ شاهدا على صحة منهجه وكماله وإمكان تطبيقه.

ثم اقتفى الصحابة الكرام أثره الطيب ونهجوا نهجه القويم، وتابعوا المنهج الرباني، فامتدحهم الوحي بالسبق إلى الإسلام والإيمان واختيار طريق الله ورسوله، واتبعهم من جاء بعدهم، فاستحقوا جميعا رضى الله والفوز بجناته ونعيمه (**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**)[2]، وأكد النبي ﷺ صحة منهجه المستمد من القرآن الكريم، وألح على اتباعه كما اتبعه صحابته الكرام، وحذر من الابتعاد عنه وتركه إلى مناهج أخرى ضالة مضلة، فقال ﷺ : "**تفترق أمتي على ثلاث**

(1) سورة القلم 4/68.

(2) سورة التوبة 101/9.

وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة. قالوا : وما هي يارسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي"[1].

مصادر معرفية ضرورية :

لامناص للخطيب ولكل مرب من معرفة مصادر عمله وينابيع فكره لكي يبني دعوته على أقوم الأسس. وأول تلك المصادر وأهمها على الإطلاق كتاب الله تعالى، ثم السنة الصحيحة والسيرة النبوية الثابتة، ثم التاريخ الموثق وحياة المؤمنين الصادقين والمجاهدين الصابرين والعلماء العارفين والعاملين المخلصين من السلف الصالح، ثم توجيهات المصلحين الجادين من الدعاة المجتهدين المعاصرين.

كل ذلك لا مناص من الاطلاع عليه وتدارسه وحسن فهمه واستيعابه لمن شاء أن يخطب عن علم ودراية، وأن يعرف كيف يسلك بكلامه سبيل التأثير والإبلاغ فيتسلل خطابه إلى القلوب ويحل منها في السويداء، وإلى النفوس فيعمل فيها بكل نقاء، وإلى الأخلاق والعادات فيقيم منها ما انقض، وإلى الأعماق والطاقات فيشيد فيها صروح الخير والهداية، ويعلي بها للأمة مقام السؤدد والريادة.

إنها المصادر الأساسية لعلم الخطيب وعمله، والمكونات المعرفية الضرورية التي تساعده على رشد

(1) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة، والطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه.

العملية التربوية وحسن تبليغ الهداية. فإن شاء مزيد خير وموفور علم وضمان تأثير فليضف إلى ما تقدم اطلاعا محكما على علوم الفقه وأصوله وفروعه، واللغة وقواعدها وضوابطها، والفتوى والدعوة والاجتهاد وشروطها ومناهجها، وفن البيان وطرق الإبلاغ وأساليب الخطاب المتنوعة، ليكون مقتدرا بارعا في استعمال الأساليب المناسبة للمعاني المناسبة والأغراض المناسبة مع الأشخاص وفي المقامات المناسبة.

شروط سلوكية فاعلة :

لكن الدعوة الناجحة والتأثير الفعال والوسيلة المجدية في التربية العملية والمؤدية إلى غرس المبادئ في النفوس بقوة وفاعلية، تقتضي أن يكون سلوك الخطيب ترجمان قوله، وعلمه عنوان عمله، وممارساته طبقا لتوجيهاته ؛ فهو المربي والموجه، وهو القدوة والمثال ؛ ومن أهم شروط القدوة أن يكون حذرا واعيا يترفع عن كل ما يشين سلوكه أو يطعن في مروءته أو يحله محل الشبهة ؛ وليت هذه الأمور تقف عند حده أوتتعلق بشخصه ؛ لكنها تحسب على الدعوة وتلصق بالدين، فيحتج بها وبصاحبها على الدعاة والعلماء وعلى الدين كله، ويستدل بها المغرضون وضعاف العقول على أن الدين إنما هو نظري مجرد غير قابل للتطبيق العملي، ويتخذ عند قاصري النظر وأصحاب الأهواء والمستهترين ذريعة للتحلل من الشرائع والأحكام.

والخطيب الذي يقول غير ما يفعل ويدعو إلى ما لا يلتزم به هو في سلوكه العملي يخالف أمر الله عز وجل بالاستقامة على منهجه قبل نشره، والعمل بالطاعات قبل دعوة الناس إليها : (وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ، وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ؛ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ، أَفَلا تَعْقِلُونَ)[1]، فالله عز وجل ينكر على من تخالف أفعاله أقواله، ويعتبر ذلك منهجا مرذولا مرفوضا لا يرضاه الله ولا يقبله أبدا : (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ؟ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ)[2].

وأولى بالخطيب أن يجتنب المعاصي والمنكرات، ويعادي البدع والضلالات، بل أن يتقي الأمور المشتبهات ويجانب مجالس الريب والشبهات، ويحتاط من الزلات والهفوات ، ولا يحتقر من ذلك شيئا أو يستهين به ؛ وقد يشعر بالضيق والحرج في الاحتراز مما لا يحترز منه في العادة، غير أنه منظور إليه بغير نظرة العادة، ومشار إليه بحكم القدوة والريادة، فحري به أن يكون أقوى على الورع وأبعد عن البدع وأحرص على التقوى وأصبر على البلوى.

الخطبة التربوية إنقاذ وإسعاد :

لقد ورث العالم المعاصر من الجاهليات القديمة عبادة العقل في صورة المادي والمحسوس، وورث عبادة

(1) سورة البقرة 2/42-43.
(2) سورة الصف 61/2-3.

الجسد في صورة الظاهر والملموس، وورث عنها إلى ذلك روح الوثنية في النظر إلى الكون والحياة والإنسان ؛ وصارت أمواج من الفتن والإغراءات تتلاعب بحياة الأفراد وتتقاذفها رياح هوجاء من الأهواء والأهوال والإهمال والإذلال، وتزيغ بها العوائد الفاسدة والتقاليد المنحرفة والأعراف الغريبة والعادات المستوردة والضلالات المهلكة.

فلابد من منهجٍ عملي متكامل تتضافر فيه جهود الخطباء المخلصينَ وثقة الأفراد المؤمنين ووسائل التربية والتكوين في البيت والمدرسة وفي المسجد والمجتمع، وعلى أعمدة الصحف والمجلات والمنشورات والكتب والمؤلفات وعبر وسائل الإعلام المتنوعة والبرامج المبثوثة والتسجيلات المتداولة مسموعة ومرئية وعبرالقنوات الفضائية. على أن يكون ذلك كله مدروسا بدقة وعناية، موجها توجيها سليما مستمدا من الكتاب والسنة ومن مدارج السالكين سبل الرشد من السلف الصالح، مع التركيز في بناء شخصية الفرد على مد الجسور الدائمة بينه وبين عقيدته أولا، ثم تنمية الجانب الأخلاقي والإنساني فيه بشكل ينسجم مع طبيعته وبيئته ومقوماته الأساسية، ثم تعويده العادات الرشيدة البانية المثمرة، كالصدق في المعاملات المادية والمودة في العلاقات الاجتماعية والصبر والتنقيب في عملية التعلم والتلقي، وفي عملية التعليم والتلقين وحرية الفكر في الإطار الرباني المعقول وحب الحق والحكمة وطلبهما والانصياع لهما في كل الأحوال والظروف.

وما من شك في أن هذه المجالات المتنوعة تعتبر ميدانا فسيحا ومجالا خصبا يرتع فيه الخطيب ويمرح ليستخرج من طبيعته وروحه موضوعات خطبه، ويوجهها نحو بناء شخصية الفرد المسلم بناء صحيحا، وتكوين العضو الفعال إيجابا في عملية التطور والنماء على مستوى الأفراد، وفي عملية الرقي والصولة على مستوى الأمة.

الأبعاد الاجتماعية لخطبة الجمعة

- حقيقة المجتمع وواقعه.
- حاجة المجتمع دائمة إلى الخطبة الموجهة.
- الإعلام وخطبة الجمعة.
- أبعاد واضحة محفزة.

الأبعاد الاجتماعية لخطبة الجمعة

لا يخفى على ذي بصر أن أثر الخطبة والخطيب في التوجيه الاجتماعي العام لا يقل أهمية عن أثرهما في تربية الأفراد. فالخطيب فارس ميدانه، والخطبة مطيته لبلوغ هدفه وبث أفكاره، وفق الضوابط والشروط المنصوص عليها. والكلمة يلقيها خطيب بليغ فصيح قد تعمل في عملية البناء أو التغيير، أو التحفيز أو التنفير، ما لا يعمله السلاح الفتاك في يد الجندي المغوار.

الكلمة تبني وتحمل نسمة الحياة السعيدة وتبذر في تربة المجتمع بذور التآلف والتعاون والتكامل والتآزر، وتدفع بالأمة عجلة التقدم ببث روح التعلم والتمكن في النفوس، وترسيخ حب العمل والجد في الأعماق. فيبنى المجتمع القوي المتطور في إطار مبادئه العليا ومنهجه الأسنى، وتتمكن الأمة ويرسخ قدمها في ميدان البقاء والاستمرار، وقد تتسلق مدارج الريادة والسيادة.

حقيقة المجتمع وواقعه :

بسط عبد الرحمن بن خلدون القول في مقدمته الشهيرة حول الاجتماع البشري، وبين في الباب الأول منها

أن الاجتماع الإنساني ضروري، حيث قال : "**ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم : الإنسان مدني بطبعه، أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم، وهو معنى العمران**"[1].

وهذه الحياة الاجتماعية الضرورية بالطبع تقتضي وجود نظام يضمن الحقوق ويفرض الواجبات ويرسم الحدود اللازم الوقوف عندها لكل عنصر من عناصر المجتمع، ويضع الأسس الأخلاقية والسلوكية التي يسهم توافرها والاقتناع العام بها في توفير الجو السعيد والعيش الرغيد والحياة الآمنة للأفراد والمجتمعات. والمجتمع يكون صالحا أو فاسدا تبعا لصلاح نظمه وأساسياته وعناصره وأصوله وأعرافه وعادات أهله أو فسادها، وينعكس ذلك كله على أفراد المجتمع ويتأثرون به ويتحملون تبعاته. ومن ثمة كان حريا بالإنسان أن يعرف مزالق الشر والغواية والضلال فيتحاشاها، وأن يحذر المناكر والفواحش والمهلكات فيجتنبها، وأن ينتبه إلى وسائل الفرقة والتنافر والتخاذل فيقاومها. كما أنه حري بالإنسان أن يبحث لنفسه ولمجتمعه عن سبل الإصلاح فينهجها، وعن عوامل الخير والبر والمعروف والتعاون فيسعى لتثبيتها وترسيخ نظام المجتمع عليها. وقد حضنا ديننا الحنيف على البحث والتحري لمعرفة كل ذلك، وحدد طبيعة المجتمع الصالح والنظام المناسب والمنهج المؤدي بالناس إلى السعادة أفرادا وجماعات :

(1) المقدمة 35.

- فجعل أساس المجتمع الإنساني صلاح العقيدة واستقامتها على مبدأ التوحيد ليعرف كل واحد مركزه في الحياة وقيمته في ذاته وفي مجتمعه وفي أمته وفي الكون من حوله، باعتباره جزءا من هذا الكون الذي هو من صنع الله الخالق القادر المتكرم على الإنسان بنعمة الوجود ولذة الحياة وزينة الدنيا، بفضل منه ومنة.

- وحث على التدبر في الكون والكائنات لمعرفة مدى الائتلاف والتكامل الموجود بين العناصر، وضرورة التعاون بين المخلوقات ضمن إطار المشروع الذي يجري وفق سنن الله في الكون الذي خلقه الله، وقوانين الطبيعة التي سخرها الله.

- ووضع المنهج الصحيح للحياة الاجتماعية حتى تنشغل البشرية بجلائل الأمور وتنصرف عن التوافه وتعمل من أجل الأصلح والأوفق، هادفة إلى سيادة التكافل الاجتماعي الوطيد وبناء دولة الحق والخير والعدل والريادة، على أساس قوي متين.

إنها ضرورة شعور الجميع بثقل المسؤولية، وإيمان كل فرد بضرورة العمل وأهمية الحرص على المصلحة العامة قبل المصلحة الخاصة. وهذا الشعور من أهم عناصر الحياة الطيبة المستقرة، به تكتمل سعادة الفرد وهناؤه، وبه تقوم حياة الأمة ويستمر بقاؤها.

حاجة المجتمع دائمة إلى الخطبة الموجهة :

ما أحوج أمتنا إلى إدراك ذلك والوعي به والاجتهاد من أجل تحقيقه لأنها تخوض معركة تأكيد الذات وحفظ الشخصية الإسلامية التي رباها القرآن في هذه الأمة، معركة الاحتماء من الجمود والتدهور والانهيار والانصهار في أتون المؤامرات التي تحاك لتذويب المسلمين أو اجتثاث جذورهم وتجفيف ينابيعهم الفكرية والدينية والخلقية تحت شعارات براقة مغرية. ولكن لابد من ضوابط يضبط بها انفتاحنا على العالم وتلقيحنا بلقاح التطور، حتى لا يحدث أي تصدع في كياننا أو ذوبان في شخصيتنا بسبب ما قد يكون من التعارض بين الثقافة العصرية والفكر الحديث والحضارة المتطورة، وبين أصولنا ومقوماتنا الأساسية ومنهجنا الرباني القويم.

إن الأمة التي لها شخصيتها المتميزة تعرف كيف توجه أبناءها وتحفظ كيانها وتحمي نفسها من الضعف والتبعية والذوبان، وقد أراد لنا الإسلام أن نكون متميزين أقوياء مستمسكين بالثوابت والأصول والقيم الربانية، لا نضحي بشيء من ذلك في سبيل كسب مادي أو تغيير إداري أو دعم دولي. أراد لنا الإسلام أن نخضع الحضارات والنظم والتوجهات والتخطيطات لمنهج الله وحده، ولشرع الله وحده، كما هو مبين في الكتاب والسنة، حتى نجتاز المصاعب والفتن ونصمد أمام الإغراءات بدفقة الإيمان القوي ورسوخ الالتزام الصادق، ونحذر استيراد المناهج

المغشوشة والمدسوسة، ونحترس من مزالق الاحتواء والتغريب، وننطلق في سبيلنا الدعوي الإنساني من خلفية إسلامية واعية، ومعرفة حقيقية برسالتنا ومبادئنا، وإدراك واضح أن الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في الخطبة أو في غيرها قادرة على تحريك التاريخ وتغيير الواقع، لأن في ديننا الحنيف توفيقا واضحا بين الجانب الروحي والجانب المادي في الحياة الفردية والجماعية، ولأن فيه توازنا بين الضروريات والحاجيات والتحسينيات، ولذلك علمنا ديننا الحنيف أن نجدد علاقتنا مع الماضي (التاريخ) للاعتبار والاتعاظ ؛ وعلمنا ديننا أن نبني علاقتنا مع ما وراء الأحداث والمشاهد (الغيب) على أساس الإيمان والتسليم ؛ وعلمنا أن ننشئ علاقاتنا مع الكون والحاضر (البيئة والزمن) على أساس التكامل والتعايش. فإذا انقطعت الصلة مع أمر واحد من هذه الأمور كان الخوف والقلق والفتنة، وربما التمزق والتشرذم والاضمحلال. وإن نكاد لنلاحظ حدوث ذلك بالفعل في الظروف البشرية الحالية، حيث غابت عنا كثير من مقومات المجتمع المسلم الملتزم بدينه، وألغيت خصوصياته ومظاهره، فسادت كثير من التصورات الخاطئة شرعا وطبعا وعرفا، وانتشرت مفاهيم متحجرة غريبة، وانغمست الأجيال في سلوكات باطلة أو عادات منحرفة ضالة ! والأسباب كثيرة يمكن ردها إلى ثلاثة أصول :

الأول غياب النظرة الصحيحة لمبدأ التناصح الاجتماعي والمسؤولية العامة كما شرعها الإسلام وكما هي

مفصلة في الشريعة والأحكام الإلهية، وهذا ناتج عن سوء فهم كثير من النصوص أو سوء توظيفها، وعن تسرب عادات دخيلة على المجتمع الإسلامي، وعن تحريف خطاب الدعوة بصفة عامة، وخطبة الجمعة خاصة، عن دورها الاجتماعي الفعال. والعيب ليس في الشرع ولا في السلف ولا في الدعوة ولا في الخطبة، إنما العيب في النموذج البشري المنحرف المتمرد واللاواعي بحقيقة مسؤوليته.

والسبب الثاني ما آلت إليه أحوال بعض الشعوب من التخلف والضعف والتخاذل والكسل في العناية بالتطور، والتهاون في النظر إلى الأمور وتحليلها ومعالجتها بالوسائل والطرق الموفقة شرعا وعصرا !

وأما السبب الثالث فانتشار بعض الأفكار المغرضة في الأوساط الإسلامية عن غير وعي بخطورتها، وذلك ناتج عن انكباب بعض المستعربين - فضلا عن المستغربين - على دراسة أحوال العالم الإسلامي ولغاته وتاريخه وأصول عقيدته ومناهج الفكر فيه، قصد تصيد المطاعن واصطناع النقائص وتتبع نقط الضعف في المسلمين ومجتمعاتهم ومناهجهم لتضخيمها وتهويلها واستغلالها في الحرب النفسية ضدهم، ليفهموهم أنهم أهل نقص وضعف وتخلف، وأنهم ينبغي أن يكونوا تابعين وأن يعترفوا بالتفوق والتقدم للإنسان الملحد أو للمذاهب المادية الغربية اللادينية، أما المسلم - كما يزعمون - فليس له إلا التبعية والضعف والتخلف.

هذا مع أن الإسلام يغرس بمبادئه في حقل الإنسانية جمعاء جذور التكامل والتضامن والتآلف والتآزر ؛ ويغرس في قلوب البشر كافة بذور الإخاء والعدل والمساواة والمحبة، ويرفع رايات الحق والخير والإحسان، لتعم أرجاء الكون حياة سعيدة هنية، وليقطع دابر الظلم والعدوان والقطيعة والدس والمكر والمكيدة، فتندثر الوساوس المهلكة، وتزول الأحقاد المزرية.

وبفضل خطبة الجمعة يحدث التآلف بين المسلمين، وينتفي التباغض والتنافر، وتزول الحزازات، وتتقوى عرى المحبة والتواصل بين الناس ؛ وصدق الله العظيم إذ يقول : (**هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم، لَوْ أَنْفَقْتَ ما في الأرْضِ جَميعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)[1].

ومن أجل أن تحدث خطبة الجمعة هذا الأثر الإيجابي النبيل، لابد أن تواكب المستجدات وتساير التطورات ؛ فلقد كانت خطب النبي الأمين ﷺ كلها على قصرها ووجازتها تواكب الأحداث وترتبط بالحياة وتلامس الهموم الحينية للناس، والملابسات الواقعية للأحوال ؛ لكنها في الوقت ذاته كانت تشتمل على وعظ وتذكير وترقيق ووعد ووعيد وتوجيه وإرشاد ؛ فالعبرة بالمقاصد، والتأسي برسول الله ﷺ وبمنهجه في كل أمر مطلوب وواجب، والالتزام بالضوابط الشرعية متعين متحتم.

(1) سورة الأنفال 63/8- 64.

الإعلام وخطبة الجمعة :

ما أكثر ما يمكن أن يقدمه الإعلام ووسائله المختلفة والمشتغلون به للمسلم والأمةِ الإسلامية وخطيبِ الجمعة من عون ودعم وخير، إذا تضافرت جهود الإعلاميين والخطباء وأعطي الإعلام مفهومه الحقيقي وفهم مدى تأثيره في النفوس وفي توجيه الرأي العام، إما إلى ترسيخ مبادئه وقيمه، وإما إلى تضليله والتشكيك في مسلماته وثوابته، وإما إلى هدمه وتقويض أصوله وقواعده.

ولسنا نقصد القول إن الخطبة تقل أهمية عن وسائل الإعلام من إذاعة وتلفزة وشريط وصحيفة ومجلة وكتاب وغيرها.. لكننا نستطيع أن نتصور حجم الأثر الذي يمكن أن تحدثه خطبة الجمعة لو كان هناك تنسيق وتكامل بين ما يقوله الخطيب ويدعو إليه، وبين البرامج الإعلامية المختلفة، وعلى الخصوص منها البرامج المبثوثة على أمواج الإذاعة والتلفزة بقنواتها المختلفة.

إننا نحتاج إلى تخطيط إعلامي موجه بانٍ مستمد من هدي القرآن الكريم والسنة النبوية والفكر الإسلامي السديد، فذلك هو الأسلوب الأمثل لتحقيق التناسق والتكامل بين عمل الخطيب والواعظ وبين وسائل الإعلام الفاعلة المؤثرة، وضمان عدم التناقض بينها وبين مقومات الأمة ومسلماتها وأهدافها، من أجل تعميق الوعي الإسلامي لدى الأفراد، وتقوية الإيمان في النفوس واستنهاض الهمم لتحقيق المصالح، ودرء المفاسد، وجلب السعادة للإنسان

في حياته الفردية والجماعية، والفوز والنجاة والاطمئنان في الدنيا والآخرة.

ولكن ماذا يمكن أن تحدثه خطبة الجمعة في النفوس والقلوب والعقول على المستوى الفردي وعلى الصعيد الاجتماعي، ومدتها لا تتعدى بضع دقائق في الأسبوع، بالقياس إلى مدى الأثر الذي تحدثه الوسائل الإعلامية الفاعلة على امتداد أيام الأسبوع ولياليه متواصلة ؟ إذا أخذنا لذلك مثالا البرامج المبثوثة على الهواء، التي تدخل كل بيت بدون استئذان، على خلاعتها وتلوثها وضررها، والتي لا نبالغ إذا قلنا إنها تملأ الوقت الفعلي والمتخيل بنسبة تفوق في بعض البلدان مثل المغرب 489 ٪ ! إذا أخذنا هذا مثلا وجدنا الإعلام المبثوث وحده يغطي اليوم والليلة جميعهما وزيادة زهاء أربعة أمثالهما ! فلو أن أحدا من الناس أراد أن لا يفعل شيئا إلا أن يتابع البرامج الإعلامية المبثوثة على خمس قنوات فقط من القنوات الفضائية لاحتاج كل يوم إلى خمسة أيام. فكيف تؤثر بضع عشرة دقيقة من الخطاب الديني المباشر الباني يوم الجمعة في هذا الخضم الزاخر من أيام البث الذي يواصل حمل معاول الهدم والمسخ والتشويه والتلويث، ويتحين جميع الفرص والوسائل للإغراء بلا مشاورة والإغواء بلا استئذان! أما الخطبة فلا وسيلة لها إلا الكلمة البليغة والآية الكريمة والحديث الشريف، وهذه تحتاج إلى القرائح المتفتحة والنفوس المطمئنة والقلوب المؤمنة ؛ وليس لديها صور براقة جاذبة ولا ألوان مشرقة زاهية ولا وسائل تأثير مادية !

أبعاد واضحة محفزة :

ذلك الواقع الاجتماعي العليل، وتلك الحاجة الملحة الظاهرة لتوجيه ديني واجتماعي بناء فاعل، وذلك الحال الذي الإعلام عليه.. كل ذلك يقتضي أن تكون هناك أبعاد تربوية محددة واضحة لخطبة الجمعة تؤخذ بعين الاعتبار في إعدادها وإلقائها، وتوجهها نحو بناء الأمة الطامحة إلى أن تتبوأ مكانتها اللائقة، وتكون الأمة التي أرادها الله، جديرة بالخلافة، حقيقة بالتمكين، فإن مكن لها في الأرض أقامت شرع الله بالعدل، ووجهت البشرية إلى ما فيه خيرها وسعادتها ونجاتها.

ويمكن تلخيص هذه الأبعاد التربوية على مستوى المجتمع والأمة في الأمور الآتية :

- مساعدة الأفراد على اكتشاف شخصياتهم واستثمار إمكاناتهم مما لا يتأتى إلا بالوعي بالمقاصد والاستعداد للاستجابة.

- تنمية المواهب وتوظيف الطاقات بما يحقق التوازن والتكامل، وينمي روح الألفة والمودة والتعاون والتآزر بين عناصر المجتمع.

- إصلاح العيوب والنقائص وتقويم الاعوجاج الذي قد يصيب الأمة في أفرادها وجماعاتها.

- بث الأمل والثقة في النفوس ودفع اليأس عنها، وتجديد النشاط وتحريك الهمم.

- التزويد بالخبرات والتجارب واقتراح الحلول العملية التي تعين على مواجهة الصعاب وتخطي العقبات.

- حفظ هيبة الأمة وحرمتها وتوفير كرامتها بمعالجة ظواهرها الناشزة ومفاتنها الفاسدة المفسدة.

- فتح أبواب الخير والسعادة وتقوية اليقين في الله والإيمان به وتطبيق شريعته.

- الارتقاء بالأمة نحو اعتلاء مكانتها بين الأمم الراقية لتكون جديرة بخلافة الله في الأرض وتمكينه لها فيها واطمئنانها في عيشها ؛ إذ بدون المجد والترقي والسيادة والهيبة لا يحصل اطمئنان، وبدون إيمان ويقين وإخلاص لا تستحق الخلافة، وبدون جد واجتهاد وعمل دائب لا يتم التمكين : (وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنوا مِنْكُمْ وَعَمِلوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ الَّذي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً، يَعْبُدونَني لا يُشْرِكونَ بي شَيْئاً، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفاسِقونَ)[1]، (وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزيزٌ، الَّذينَ إِنْ مَكَّنّاهُمْ في الأَرْضِ أَقاموا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَروا بِالْمَعْروفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَللهِ عاقِبَةُ الأُمورِ)[2].

(1) سورة النور 24/53.

(2) سورة الحج 22/38-39.

كلمة أخيرة

كلمة أخيرة

إن لخطبة الجمعة إذن خصوصيات وشروطا ومقومات نابعة من المنهج النبوي الكريم الذي لا يسوغ لأحد تجاوزه ولا إغفاله ولا مخالفته، وهو منهج كفيل بتحقيق الغاية من الخطاب التربوي والتوجيهي الذي يستهدف الأمة أفرادا وجماعات، يرشد المسلم - على نحو مؤثر - إلى خيره وسعادته، ويحفظ - على بيِّنةٍ وبَصيرَةٍ - للمنبر هَيبته، وللخطبة تأثيرها، وللخطيب فعاليته وإيجابيته.

غير أن هناك أمرين جديرين بالالتفات إليهما وإعطائهما أهميتهما :

• الأول وجود تفاوت طبيعي بين الخطباء من حيث التكوين والثقافة والكفاءة العلمية والملكة التعبيرية وقوة الإقناع والحكمة في الموعظة، والورع والتقوى في السلوك والقدرة في الخطاب على جلب الأنظار واستمالة النفوس وبلوغ الأعماق.

• والثاني خطورة مهمة الخطيب وصعوبتها، لأنها دعوة إلى الحق، وطريق الحق دائما طويل شائك عسيرالا على ذوي العزائم الفولاذية، المتحلين بالثبات والصبروالاستعداد لكل التضحيات.

ومع ذلك كله فالأمل باق بقاء الزمن في أن تظل خطبة الجمعة مؤدية رسالتها التنويرية، وأن يؤدي الخطباء

على الدوام واجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ بأيدي الأفراد إلى الترقي في درجات التقوى والصلاح، وإقناعهم بجدوى الإيمان والاستقامة؛ والدفع بالأمة إلى تسلق مشارف المجد والشرف والسيادة، مع الانضباط بضوابط شرع الله العادل الذي لا يظلم فيه أحد ولا يعرف تقهقرا ولا تخاذلا ولا وهنا ما التزمت فيه حدود الله وحفظت أوامره واجتنبت دواعي الوقوع في نواهيه: (وَأَنَّ هَذا صِراطي مُسْتَقيماً فَاتَّبِعوهُ، وَلا تَتَّبِعوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبيلِهِ، ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقونَ)[1]، (وَهَذا صِراطُ رَبِّكَ مُسْتَقيماً، قَدْ فَصَّلْنا الآياتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرونَ)[2]، (وَهَذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ فَاتَّبِعوهُ وَاتَّقوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمونَ أَنْ تَقولوا إِنَّما أُنْزِلَ الْكِتابُ على طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا وَإِنْ كُنّا عَنْ دِراسَتِهِمْ لَغافِلينَ أَوْ تَقولوا لَوْ أَنّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتابُ لَكُنّا أَهْدى مِنْهُمْ، فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ)[3].

(1) سورة الأنعام 154/6.

(2) سورة الأنعام 127/6.

(3) سورة الأنعام 156/6-158.

ملاحق

- أوّل خطبة جمعة لرسول الله ﷺ
- خُطب نموذجيّة للاستئناس
- مَصادر ومَراجع مُفيدة.

مُلحق 1

أول خطبة جمعة لرسول الله ﷺ[1]

الحمد لله أحمده، وأستعينه وأستغفره، وأستهديه وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفر به، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل. من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا.

أوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله ؛ واحذروا ما حذركم الله من نفسه، فإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ؛ ومن يصلح الذي بينه وبين ربه من أمره في السر والعلانية لا ينوي به إلا وجه الله يكن له ذكرا في

---

(1) نص الخطبة في صحيح مسلم 405/6 ح 868، وانظر زاد المعاد 372/1، وتفسير القرطبي 99،98/18.

عاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم ؛ وما كان مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا، "**ويحذركم الله نفسه، والله رؤوف بالعباد**".

هو الذي صدق وعده، وأنجز عهده، لا خلف لذلك، فإنه تعالى يقول: "**ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد**". فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السر والعلانية، فإنه "**من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا**"، ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما، وإن تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه، وإن تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة. فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، فقد علمكم كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين. فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فأكثروا ذكر الله تعالى، واعملوا لما بعد الموت، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفيه الله ما بينه وبين الناس. ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ملحق 2

خطب منبرية نموذجية للاستئناس

الأولى : خذ العفو وامر بالعرف

الحمد لله العلي العظيم، الحمد لله الحليم الكريم، الحمد لله رب السموات ورب الأرض رب العرش العظيم ؛ لك الحمد يا ربنا كما نقول وخيرا مما نقول، وعليك منا الثناء كل الثناء فأنت الرب الرؤوف البر الرحيم، ونحن عبادك المستضعفون التائبون الضارعون المستغفرون.

وأشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، أرسلت الرسل والأنبياء لبث الأخلاق الحميدة، وإرشاد العباد إلى كل فضيلة، والهداية إلى سبل التعاون والنصيحة؛ وبعثت نبيك محمدا ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، وأنزلت عليه الأمر بالعفو والتسامح وأخذِ الأمور بالحلم والتناصح، وعدمِ مجاراة الجاهلين في جهلهم والمسيئين في إساءتهم.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبدك الخاشع التقي الطاهر، ورسولك المبلغ الأمين الطائع، صليت عليه في ملكوتك، وصلى عليه خيرة خلقك من ملائكتك، وأمرت العباد بالصلاة عليه في أرضك وبلادك؛ فصل اللهم وسلم

عليه وعلى آله الأطهار، وصحابته الأكرمين الأخيار، وارض اللهم عن التابعين وتابعيهم، وعمن اقتفى أثرهم واتبع سبيلهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فياعباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، الآمر بالتزود بالتقوى في قوله سبحانه: "**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واتقون يا أولي الألباب**" [سورة البقرة 196/2]. وإن من أجمل ما يتحلى به الإنسان مكارمَ الأخلاق، فبها يستقيم أمر الأفراد، وينتظم سير الجماعات، وتنهض الأمم وتتسلق مدارج الترقي نحو القمم؛ أما الانحراف والزلل وسوء المعاملة وكثرة المؤاخذة للآخرين على سلوكاتهم وتصرفاتهم، ومحاسبتهم على الصغير والكبير من أخطائهم، فذلك من علامات التخلف والتخاذل وسوء الخلق وقلة الصبر، ومآله للأفراد والأمم سوء العاقبة وبئس المصير!

وديننا الحنيف أيها المؤمنون يسمو بالأمة الإسلامية، على مستوى الأفراد والجماعات، ويحفزها على جميع المستويات، لتدرك ذلك الرقي الاجتماعي والتطور الإيجابي عن طريق التحلي بالأخلاق الفاضلة وانتهاج أساليب الصفح والمحبة والاتصاف بالصبر والمودة، ليستقيم أمر الفرد والجماعة، وينتهجوا السبل القويمة في السلوك والمعاملة. يقول الله عز وجل مخاطبا رسوله الأمين محمدا ﷺ وكلَّ مسلم مؤمن يطمح إلى الاقتداء برسوله في الخلق والمعاملة.. "**خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين**" [سورة الأعراف 199.7].

فهذه الآية الكريمة تضمنت القواعد الأساسية لمعاشرة الناس في المجتمع الإنساني الذي يرتضيه الإسلام منهجا للتعامل والتعايش والتكامل بين عناصره، وقد اشتملت على أمر بأن نأخذ من أقوال الناس وأفعالهم وأخلاقهم ما جاء منهم عفوا طبيعيا، وما صدر منهم وتيسر بغير كلفة ولا مشقة، فلا نطلب منهم ما يعجزون عن الاتصاف به من الكمال، ولا نحملهم على النفور منا والاشمئزاز، وهذا هو العفو الذي يعتبر من أهم أسس التعايش بين الناس وبقاء العلاقات واستمرارها، وتوطيد الصلات وصيانتها. ويدخل في ذلك صلة الأرحام ولو قطعها القاطعون، والحلم والصفح وإن أذنب المذنبون، والرفق والرحمة وإن أساء المسيئون، والتغاضي والإعراض وإن اشتط في القسوة الأشداء المجازفون. قال تعالى داعيا إلى تلك الخصال الفاضلة البانية محرضا على انتهاج نهج الصفح عن أخطاء الخطائين، والتجاوز عن إثم الآثمين : "**فاصفح الصفح الجميل**" [سورة الحجر 85/15]. وكما أمر الله عز وجل عباده المسلمين المؤمنين بمحاجة الكفار والمشركين ومجادلتهم ومقارعتهم الحجة بالحجة، فقد دل المسلمين على وجوب التحلي بمكارم الأخلاق والمجادلة بالتي هي أحسن، بل أمر بانتهاج أسلوب رائع حكيم في الدعوة، بليغ مؤثر في المخاطبين، رشيد رفيق في تبليغ الدين، وفتح قلوب الضالين ونفوس التائهين، إلى الاستنارة بنور الهداية والحق المبين، فقال جل من قائل: "**أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم**

بالتي هي أحسن" [سورة النحل 125.16].

ويوجهنا الرسول الأكرم ﷺ توجيها نبويا حكيما لما يزرع في قلوبنا المحبة والسماحة، ويغرس في نفوسنا الأخلاق الفاضلة، وينعش سلوكنا ببشائر الخير وحسن المعاشرة، فيقول ﷺ : "**إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**" [أخرجه الطبراني والحاكم والبيهقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه].

والمعنى الراجح للعفو في الآية عند معظم المفسرين هو ما زاد عن حاجة المسلم في مجال الإنفاق، ولا شك أن الفائض من أموال المؤمنين يعد عفوا، ومنه تؤخذ الصدقات، مصداقا لقول الحق سبحانه: "ويسألونك ما ذا ينفقون قل العفو" [بعض الآية 217 من سورة البقرة 2].

وأما العرف فهو كل خصلة حسنة ترتضيها العقول وتطمئن إليها النفوس، وإن رأس ما تطمئن إليه نفس المؤمن وينشرح له صدره هو ترديد كلمة التوحيد "**لا إله إلا الله**"، فهي أهم ما ترتضيه عقول العقلاء المتدبرين، وأحسن ما تنطق به ألسنة العباد المهتدين الطائعين؛ ثم التعود على الاتصاف بالفضائل والمكرمات التي تقتضيها عقيدة التوحيد، كالحياء والحلم والأمانة؛ وإيلاف فعل الخيرات والمبرات، كالإحسان والتعاون والكفالة حتى يصير ذلك في الناس عرفا مألوفا، الكل يسعى إلى الإصلاح وتحقيق الغايات التي تنفع الناس في عاجل دنياهم أو في آجل أمرهم؛ وبين قول الخير وفعله صفات يتحلى بها المرء

فيزداد قلبه يقينا وتزداد أخلاقه سموا: فعن النبي ﷺ أنه قال: "**الإيمان بضع وسبعون شعبة** (أي قطعة أو جزءا)، **فأفضلها قول (لا إله إلا الله)، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**" (أخرجه البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه).

ثم إن حسن معاملة الناس، ومد يد العون والمساعدة لهم، والبشاشة في وجوههم، والتغاضي عن عيوبهم، ومسامحتهم على أخطائهم.. كل ذلك فيه للمسلم المؤمن أجر كبير: فقد أخرج البزار في مسنده أن أبا جزي جابر بن سليم قال: فركبت قَعودي ثم أتيت إلى مكة فطلبت رسول الله ؟ فأنخت قَعودي بباب المسجد، فدلوني على رسول الله ﷺ فإذا هو جالس، عليه بُرد من صوف فيه طرائق حمر؛ فقلت: السلام عليك يارسول الله، فقال: "**وعليك السلام**"، فقلت: إنا معشر أهل البادية قوم فينا الجفاء، فعلمني كلمات ينفعني الله بها. قال: "**أُدنُ**" - ثلاثا - فدنوت فقال: "**أَعِد عليّ**" فأعدت عليه، فقال : "**اِتق الله، ولا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه منبسط** - وفي رواية: طليق أو طلق - **وأن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وإن امرؤ سبك بما لا يعلم منك فلا تسبه بما تعلم فيه، فإن الله عز وجل جاعل لك أجرا وعليه وزرا، ولا تسبن شيئا مما خوّلك الله تعالى**" قال أبوجزي: فوالذي نفسي بيده ما سببت بعده شاة ولا بعيرا (أخرجه الإمام مسلم، عن أبي ذر رضي الله عنه).

يالها من وصايا بينات بليغات مفيدات نافعات !!

إن الحبيب الشفيع ﷺ يوصي في هذه الجواهر المضيئة بالتقوى،

ويوصي بالإكثار من المعروف مهما ظننناه بسيطا أوحسبناه تافها،

ويوصي بالانبساط والانشراح في وجوه الآخرين،

ويوصي بالإيثار وتفضيل الغير على النفس،

ويوصي بالحلم على الآخرين ولين الجانب معهم؛

فالحبيب ﷺ يعتبر ذلك كله وسيلة لنيل مكاسب جمة ومحامد جليلة، هي الأجر عند الله أولا، وكسب ثقة الآخرين ومودتهم ثانيا، وشيوع المحبة والمودة بين أفراد المجتمع ثالثا؛ ثم إذا نظرنا إلى الأبعاد الاجتماعية والإنسانية لتلك الصفات والمحامد فإننا نجد لها أعظم الأثر في ترفع الأفراد عن الدنايا، وانتشال الأمم من الانحطاط والتخلف والرزايا، وتوفير جو الإخاء والمودة والتآلف. والناس معادن، فيهم المصيب وفيهم المخطئ، والمصيب منهم معرض للخطأ في كل حين. ولله در الشاعر القائل:

إذا كنت في كل الأمور معاتبا
صديقك، لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا، أو صل أخاك فإنه
مقارف ذنب مرة ومجانبه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت، وأي الناس تصفو مشاربه

نعم أيها المسلمون المؤمنون، إن سنة الحياة وطبيعة الناس تقتضي أن نتغاضى عن عيوب الآخرين، وأن نتذكر أننا أيضا يمكن أن نخطئ في حق الغير، والمؤمن يلتمس العذر لأخيه، والعفو والصفح والتسامح والتواصل من أهم الصفات التي دعا إليها الإسلام بوسائل وأساليب ونصوص كثيرة، ومن أدلها وأشملها قول الحبيب ﷺ: "**أمرني ربي بتسع: الإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمني، وأصل من قطعني، وأعطي من حرمني، وأن يكون نطقي ذكرا، وصمتي فكرا، ونظري عبرة**"[1].

وكل أمر أمَر الله عز وجل به رسولَه ﷺ هو أمر لأمته ولكافة المسلمين في كل زمان ومكان، إلا أن يكون هناك ما يخصصه ﷺ بالأمر.

فاللهم إنا نسألك أن تجعل الإخلاص دأبنا، والعدل شيمتنا، والقصد منهجنا، والعفو خلقنا، والمعروف عادتنا؛ ونسألك اللهم أن تلين ألسنتنا بذكرك، وتصلح قلوبنا بهدايتك، وأن تغفر لنا بحلمك، وترحمنا بعفوك وفضلك، إنك غفور رحيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله إن الحمد كله لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(1) مشكاة المصابيح 1472/3 ح 5358 وعزاه فيه لرزين، ولم يعلق عليه الشيخ الألباني.

أيها المؤمنون، لما أنزل الله عز وجل على سيدنا محمد ﷺ قوله تعالى: "**خذ العفو، وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**" سأل رسول الله ﷺ **ما هذا يا جبريل؟ فقال: لا أدري حتى أسأل العالم** - سبحانه وتعالى - فذهب، فمكث ساعة ثم رجع فقال: "إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك" (أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم، وانظر تفسير ابن كثير 490/6)، فكانت هذه الأخلاق دوما من أهم دعائم الخلق النبوي القويم، ومنهج الصحابة البررة الأكرمين رضوان الله عليهم أجمعين، فقد كانوا حريصين على تطبيق أوامر الله وتنفيذها، والاقتداء بسيرة الرسول ﷺ والتزام شمائلها، والوقوف عند المنهيات والمحرمات واجتنابها: عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن .. فدخل على الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وكان أصحاب مجالس عمر ومشورته من القراء كهولا وشبانا - وقال: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجَزْل، ولا تحكم بيننا بالعدل! قال: فغضب عمر حتى هم بأن يقع به، فقال أحدهم: يا أمير المؤمنين، إن الله قال لنبيه عليه السلام: "**خذ العفو، وامر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين**"، وإن هذا من الجاهلين. فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله عز وجل[1].

ومن باب الإعراض عن الجاهلين أن لا يجيب المرء عن كل من واجهه بشر، أو قابله بلغو الكلام، أوتقول عليه بالبهتان والادعاء وسوء التأويل، فالرسول الأكرم والمربي الأمثل

(1) أخرجه البخاري في التفسير، باب "خذ العفو" فتح الباري في 195/9 ح 4642.

سيدنا محمد ﷺ كان قومه يفترون عليه ويموهون على الناس حقائق الوحي التي لا ياتيها الباطل من بين أيديها ولا من خلفها، ومع ذلك كان ؟ يعرض عنهم ويدعو لهم بالهداية، فكان ﷺ يقول: "**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**" (رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه)، وهوالنبي الأمين الذي بعث بمكارم الأخلاق، والذي حلاه الله وزينه بالخلق القويم، ووصفه بأنه على خلق عظيم، وأمره سبحانه بأن يعرض عن الجاهلين، وعلمه أن من صفات عباد الرحمن الحقيقيين الفائزين أنهم "إذا مروا باللغو مروا كراما" (سورة الفرقان 72/25) أي مترفعين عن الخوض في الباطل مع الخائضين أو الانخراط في سلك اللغو مع اللاغين.

أما الشاعر العربي الحكيم فينصح العاقل الحصيف بأن لا يساير السفهاء ولا يجاري المبطلين ولا يجيب المفترين، يقول الشاعر:

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخيرمن إجابته السكوت

فيا أيها الإخوة المؤمنون، كونوا قوالين للخير، فعالين للمعروف، محسنين للقريب والبعيد؛ إذا تسفه عليكم أحد أو تطاول، أوجهل عليكم مفتر أو تجاهل فاتركوه وأعرضوا عنه، ولا تعاملوه بمثل سفهه، أو تجهلوا عليه بمثل جهله، فتكونوا سواء؛ بل اعملوا بقول الرحمن الرحيم سبحانه: "**وأعرض عن الجاهلين**"؛ واتبعوا سنة النبي المصطفى الكريم ﷺ الذي طالما أساء إليه قومه، فكان يقابل إساءتهم بالاستغفار لهم، والدعاء بهدايتهم؛ وكان يصل من قطعه، فصلوا من قطع أرحامكم، وكان ﷺ يغض عن إساءة المسيء ويقابلها بالحلم والصبر والاحتساب،

فغضوا عن المسيئين واصبروا عليهم، وتمثلوا قول العزيز الرحيم: "**وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم !! والله غفور رحيم**" (سورة النور 22/24) ؛ وقوله سبحانه وتعالى: "**ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور**" (سورة الشورى 40/42).

إعملوا عباد الله بوصايا ربكم، وسيروا على منهج نبيكم، ولكم في ذلكم أجركبير على أعمالكم، وثواب عظيم على حسن سيركم، وعون من الله العلي القدير على أمركم، ونصرمنه سبحانه على أعدائكم، وكفاية لشر الأشرار في معاملتكم؛ فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال: يارسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي. فقال الحبيب؟: "**لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفّهم المَلَّ** - أي تطعمهم الرماد الحار -، **ولا يزال معك من الله ظهير - أي معين - عليهم ما دمت على ذلك**".

ومسك الختام دعاء للرب الرحيم، وتضرع للعلي العظيم أن يحسن أخلاقنا، ويلهمنا رشدنا، ويملأ بالإيمان واليقين قلوبنا، وأن يعفو عنا، ويصلح حالنا، وأن يوجهنا إلى ما فيه خير العباد والبلاد.

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا، يارحمن أنت غياثنا فبك نغوث، وأنت ملاذنا فبك نلوذ، وأنت عياذنا فبك نعوذ؛ يامن ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له أعناق الفراعنة، نعوذ بك من

خزيك وكشف سترك، ونعوذ بك من الفرقة في صفوفنا، ومن تسلط الأعداء الجبارين علينا. اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، ونعوذ بك منك، لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

وانصر اللهم من قلدته في أرضك أمر عبادك، ووليته شأن خلقك وعيالك، نصرا تعز به الدين، وتقهر به الفساد والمفسدين، وترفع به راية الحق المبين، وأقر اللهم عينه بولي عهده، وشد عضده بأخيه، وأصلحه اللهم وبه وعلى يديه، وقرب إليه أهل الخير والبر والتقوى، واحفظه من بطانة السوء والشر والبلوى، واجعل يارب صلاح هذه الأمة ووحدتها ورفعتها على يده.

اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل المسلمين، وأعز اللهم الإسلام والمسلمين، وأعن إخواننا المجاهدين المسلمين، واقهر أعداءك أعداء الدين؛ واجعل اللهم بلدنا هذا بلدا آمنا وسائر بلاد المسلمين، وأنزل علينا الأمن والأمان والسكينة واجعلنا في أوطاننا آمنين مطمئنين.

وصل اللهم وسلم على نبيك وعبدك وحبيبك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ اللهم احشرنا في زمرتهم، ولا تخالف بنا عن نهجهم وطريقهم يا أكرم مسؤول وياخير مأمول. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، ويغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

الثانية : الأمة الإسلامية مقوماتها ومهماتها

الحمد لله أحمده، وأستعينه وأستهديه وأستغفره، وأومن به وأتوكل عليه، وأثني عليه بما هو أهله، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الإنسان وعلمه، وهداه إلى معرفة الحياة حقيقتها وغاياتها، وجعل له رسالة في الكون يؤديها ويسأل عنها، وهيأ الأمة الإسلامية بالوحي إلى تحمل مسؤولية الريادة وأمانة القيادة، فقال سبحانه مخاطبا لها مبينا سبب اختيارها لتلك المهام الجسيمة: "**كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله**" (سورة آل عمران 110/3)، وأشار إليهم سبحانه بقوله: "الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر" (سورة الحج 39/22).

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، بعثه الله بمنهج السمو بالإنسانية إلى الدرجات العلا، وأنزل عليه الوحي المبين المنجي فبلغ، وحمله أمانة الدعوة إلى الهدى والرشد فنصح؛ وأشهد أنه قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله صابرا محتسبا حتى أتاه اليقين. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، وعلى من اقتفى أثرهم واتبع سبيلهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

أما بعد، "من يهد الله فهو المهتدْ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا"، "ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مومن فأولئك كان سعيهم مشكورا، كلا نمد، هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا" ؛ فمن أراد الهداية سلك سبيلها بالطاعة لله ورسوله، والاستجابة لما جاء عن الله ورسوله، وبورك له وأعين على أمره؛ ومن أراد غير ذلك ضل وتاه ووُكل إلى نفسه ونال عاقبة غيه. والطاعة تكون بالقلب والعقل والجوارح، أي إنها تتحقق بالإيمان واليقين، وبالنطق المبين، وبعمل الجوارح في كل حين. وهذه الطاعة هي التي تكشف لك أيها المسلم الستور لتتبين الحق وتسلك سبيل الهداية؛ وهذا المنهج وحده هو الذي يوضح لك الدور الحقيقي المنتظر منك في هذه الحياة :

فالله عز وجل خلق الإنسان لغايات سامية تنطلق من عمارة الأرض وزراعتها، وتداول خيراتها بالتجارة والصناعة والاحتراف والارتزاق، وتدبير شأنها وشأن المخلوقات فيها بالملك والسلطة، وتحقيق الكسب المريء والعيش الرغيد؛ ولكنه سبحانه يريد لك أيها الإنسان مكانة أسمى ومهمة أعظم ورسالة أنفع وأفيد يمتد نفعها لك في العاجل والآجل، ويسري مفعولها وأثرها إلى ما بعد الحياة الدنيا الفانية العاجلة، لتجني ثمارها هنالك في الحياة الأبدية السرمدية.

أيها المسلمون، إنه لم يكن القصد أبدا من وجود الإنسان في الكون مجرد السعي إلى الدنيا والاستمتاع

بمباهجها، إن الغاية أسمى من ذلك وأشرف؛ وإن أمة الإسلام إنما بعثت لتحق الحق وتبطل الباطل وتنير دروب الضالين التائهين، وترشد العباد إلى الصراط المستقيم، وهذه الغايات هي التي احتاجت إلى بعث الأنبياء واصطفاء المرسلين عليهم الصلاة والسلام، وهي التي احتاجت وما تزال تحتاج إلى جهاد المجاهدين وكفاح المفكرين المستنيرين، ومنهج الدعاة الحكماء المرشدين، يوضح ذلك ويؤكده موقف الحبيب المصطفى ﷺ حينما جاءه وفد قريش يعرض عليه أمورا دنيوية تغوي الطامع في الدنيويات، وتغري الرجل الذي ليس له مبدأ أصيل ورسالة سامية؛ أما رسول الله ﷺ فكان صاحب رسالة، وأمين وحي، اجتباه ربه، وهداه وأهله لتحمل الرسالة وأداء الأمانة لذا جاء أشراف قريش مجتمعين إليه ﷺ وعرضوا عليه الزعامة والمال والسيادة والملك، وعرضوا عليه أن يجلبوا له أمهر الأطباء إن كان هذا الذي يأتيه رئيا من الجان والشياطين؛ فقال لهم رسول الله ﷺ : "**ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل عليّ كتابا، وأمرني أن أكون بشيرا ونذيرا؛ فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم**"[1].

(1) ابن هشام 316/1.

هذا إخوة الإسلام هو الهدف الأساسي من حياتنا، وتلك هي رسالتنا، عبر عنها نبينا المصطفى الكريم ﷺ هنا ثم عبر عن الغرض نفسه وبين أن مهمة المسلم فردا وجماعة وأمة في هذه الحياة هي إعلاء كلمة الله والدعوة إليها ونصرة الحق والجهاد في سبيله، وليس مجرد العيش في هناء ودعة وحبور؛ وذلك في جواب آخر له ﷺ أجاب به عمه أبا طالب حين عظم عليه فراق قومه وعداوتهم بسبب موقف ابن أخيه محمد ﷺ من آلهتهم، فدعاه فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا.. فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق.. فقال رسول الله ﷺ : "**ياعم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته**"[1]. ولم يكن رفضه؟ لما عرض عليه من أمر الدنيا ومتاعها رفضا عن نفسه الكريمة فقط، بل كان رفضا عن أمته وعن المسلمين المومنين جميعا إلى الأبد، وكان تشريعا نابعا من رسالة الله السامية، وروح النبوة الطاهرة التي تريد أن تقنع العالم كله بدور هذه الأمة وفضلها، وتشعر الفرد المسلم بمهمته الأساسية في الحياة، وجسامتها في الدنيا وعظيم ثوابها في الآخرة.

وفي غزوة بدر الكبرى، لما أقبلت قريش بقضها وقضيضها تحارب الله ورسوله والمومنين قال رسول الله ﷺ : "**اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة.. اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا**

(1) ابن هشام 285/1.

تعبد.."[1] ؛ ولم يقل ﷺ لو هلكت هذه العصابة أقفرت البلاد وأوحشت أسواقها وكسدت تجارتها وهلك زرعها وتعطلت أشغال الشغالين وانهارت سلطة الحاكمين.. لم يقل ﷺ شيئا من ذلك، لأن ذلك كله ليس هوالقصد من حياة الناس، وليس المهمة الأساسية لأمة الإسلام وعموم المسلمين؛ وإنما قال: إن تهلك هذه العصابة لا تعبد ! ولذلك استجاب الله دعاء نبيه، ونصر عباده المستضعفين لأنهم مومنون أصحاب رسالة. ولما كانت هذه الحقيقة واضحة معروفة عند المسلمين دانت لهم الأرض، وسادوا العالم وحملوا مشعل الحضارة وتبعتهم الأمم الأخرى في الأرض كلها وأخذت عنهم العلم والحضارة لأنهم أخذوا بزمام أمرهم، وراعوا ربهم وحملوا أمانتهم بوعي ومارسوا مسؤوليتهم بإخلاص، وطوروا العلوم والمعارف، واجتهدوا في الصناعة والتجارة والفلاحة بالقدر الممكن المتاح لهم في ظروفهم.

لكن الأمم والشعوب إذا هانت وضعفت وتخاذلت وتخلت عن رسالتها وقدمت دنياها على دينها، وغفلت عن مهمتها الأساسية التي من أجلها خلق الله الأكوان: تقع في التخلف والاستضعاف والسلبية، ويسود فيها الجهل والفرقة والضلال والخذلان.

إخوة الإسلام، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يستعبدنكم المال ولا الجاه ولا السلطة ولا الكلمة ولا الصولة؛ مارسوا رسالتكم بوعي ومسؤولية، وقدموا لأنفسكم من الخير ما **تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا، واستغفروا الله، إن الله غفور رحيم.**

(1) ابن هشام 2/279.

"ربنا عليك توكلنا وأليك أنبنا وإليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا، واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم" (سورة الممتحنة 60/4-5) آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله أهل العز والمكرمات، وأشهد أن سيدنا محمدا نبي الهدى وخاتم أصحاب الرسالات، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الأكرمين الهداة.

عباد الله لقد أباح الله للمسلمين الطيبات، وأحل لهم الأرض وزينتها، فقال سبحانه وتعالى: "قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة" (سورة الأعراف 32/7)، وقال عز وجل: "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون" (سورة الجمعة 10/62)، وقال جل شأنه: "هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور" (سورة الملك 15/67). ولكن الله عز وجل لم يبعث الأمم لذلك وحده، ولم يجعله المهمة الأساسية لعباده وخلفائه في أرضه، ولم يرضه لهم غاية في الحياة الدنيا؛ وإنما خلق الخلق لتحمل المسؤولية في الدنيا بعبادته والاستعداد ليوم لقائه؛ وجعل أسباب

الحياة ووسائلها خاضعة لمهمتهم التي خلقوامن أجلها فالدنيا أيها الناس خلقت لكم، ولكنكم خلقتم للآخرة، والله سبحانه وتعالى يقول: "**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق ما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**" (سورة الذاريات 51/56-58). فإذا تضاربت الأمور وتعارضت، أو تناقضت المصالح وتزاحمت، فعليك أيها المسلم أن ترفض الانحياز إلى جانب الدنيا وزينتها، والحياة وملذاتها ومفاتنها؛ ثبت نفسك على الإيمان الصادق والعمل النافع؛ واحذر أن تدخل في عداد من يقول فيهم الحق سبحانه وتعالى: "**قل إن كان آباؤكم وأنباؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين**" (سورة التوبة 24/9) هكذا توعد الله سبحانه وتعالى من يوثر الدنيا على الآخرة، وينسى مهمته ويهمل غاية حياته، وتغمر الدنيا قلبه، ويسلم للملذات والشهوات زمامه، ويؤذي الدعاة إلى الله والحق والخير بلسانه أو بتصرفاته، ويقضي أوقاته في اللهو والعبث؛ والله عز وجل سائل غدا كل إنسان عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله مم اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ما عمل به، أصرفه في الحق والخير والنفع العام ، أم أنفقه في الشر والإثم والمعاصي والمهلكات.. والإسلام يربي المسلمين جميعا على الاستقامة والإيجابية والحرص على المنفعة العامة :

فيربي التاجر على العناية بتجارته وتنميتها، ولكن دون أن يكون همه الوحيد هو الربح والنماء المادي، وإنما يجعل تجارته وسيلة للتقرب إلى ربه والنجاة عنده يوم حسابه.

ويربي الصانع على أن يمهر في صناعته ويتقنها ويطورها، ولكن مراعاة لربه ودينه وعقيدته وعاقبة أمره، لا خوفا من كساد ولا رهبة من مشغل ولا إرضاء لجشع.

ويربي الموظف والسائس والمدبر لشأن الأمة كليا أو جزئيا على أن يحرص في وظيفته وفي سياسته وتدبيره على تقوى الله ومصلحة البلاد والعباد، وأن يسعى ليكون عمله طاعة وعبادة وإخلاصا لله عز وجل وأداء للواجب ابتغاء مرضاة الله، لا طمعا في جاه ولا رياء ولا ثناء، ولا حذرا من سخط رئيس ولا تضجرا من تأخر مكافأة.

والنية الصالحة قبل ذلك وبعده شرط في قبول العمل ونيل الجزاء والثواب من الله الكريم سبحانه وتعالى، لقوله؟ في الحديث الصحيح المشهور: "**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوي**".

فحسنوا عباد الله نياتكم، وأخلصوا العمل لربكم، عسى الله أن يزكي أرزاقكم، ويثيبكم على أعمالكم، ويحشركم في زمرة الصالحين المصلحين.

دعاء الختم.

الثالثة : كيف يستقبل المسلم شهر رمضان

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. ونشهد أن لا إله إلا الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو، إليه المصير. ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ورحمته المهداة إلى العالمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، فاتقوا الله عباد الله وأطيعوه تهتدوا، وأحبوا رسوله واتبعوه تفوزوا، واغتنموا شهر رمضان الذي يحل ضيفا على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، اغتنموه في التوبة من الضلالات، وفي الإكثار من العبادات، وفي الاجتهاد في النوافل من الطاعات والقربات، وفي اكتساب الحسنات ومحو السيئات.

أيها المسلمون لقد فرض الله الصيام في شرائعه السابقة، وجعله ركنا من أركان الإسلام شريعته الخاتمة، فقال جل شأنه: "**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات**"، وجعله سبحانه فرصة هداية للتائهين، ومغفرة للتائبين المستغفرين، وطهرة للنادمين الأوابين، وخيرا ورحمة للعابدين القانتين. قال تعالى: "**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**". وجعل صيامه عبادة خالصة له سبحانه وتعالى

بينه وبين عباده، فلم يطلب به أفعالا تؤدى ولكن جعل حقيقته تركا للشهوات المحبوبة، وابتعادا عن الأشياء المرغوبة، وكفا للجوارح عن المغريات والمحرمات، وحفظا للظاهر والباطن من كل الأهواء والنزعات، وتربية للنفس والقلب على الفضائل والمكرمات، وإكثارا من العبادات المألوفة من صلاة وذكر وتلاوة للقرآن في جميع الأوقات، وعصيانا للشياطين وشعورا بحاجة المحتاجين، وتطلعا إلى مراتب الأبرار ومنازل المتقين، فيستحق الصائم بذلك شفاعة صومه، ويتحقق له الأجر والثواب عند ربه. أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان**".

أيها المسلمون إن ذلك لا يتحقق للعبد إلا إذا قضى شهر رمضان في صيام مبرور، وقيام مشكور، فيكون نهاره صوما عن جميع الشهوات، وإمساكا عن كل الموبقات، واجتنابا للمحرمات والمكروهات؛ ويكون ليله قياما بصلاة التراويح وتلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته وتدارس أحكامه وسنة رسوله ﷺ، ففي صحيح البخاري ومسلم عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "**من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه،**

ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه".

الصيام أيها الأخ المسلم عبادة تقوم على الصفاء والنقاء، والطاعة والانقياد، والإيمان والاحتساب، والصدق والقناعة. فإذا رأيت هلال رمضان أو سمعت بظهوره فقل: **الله أكبر الله أكبر الله أكبر**، ثم قل: **اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربي وربك الله**. ثم اعقد نيتك على أن تصوم الشهر إيمانا واحتسابا، واسأل الله العلي القدير أن يوفقك لصيامه على منهج السنة النبوية، وقيامه على الصفة الإيمانية الصادقة. وقم قبل الفجر قدر ما تستطيع لتبدأ عبادتك، وأخر السحور إلى قرب الأذان بقدر ما يكفيك لسد رمقك، فإذا تسحرت فتهيأ لصلاة الصبح مع الجماعة، ثم استرح أو اتجه إلى عملك اليومي بجد ونشاط وعزم وذكر ولين وحسن خلق دون أن تجهد نفسك أو تتعبها أكثر من الحد الذي تطيق. واحرص على أداء صلواتك خلال النهار في أوقاتها مع الجماعة في المسجد، فإذا حان وقت الإفطار فابدأ بالدعاء بالقبول والتوفيق والمغفرة، ثم أفطر بتمرة أو بجرعة ماء، وأد صلاة المغرب ثم كل واشرب ولا تسرف فحسبك من الأكل ما يقويك على طاعة الله، ثم استرح، واستعد للصلاة. فإذا ارتفع أذان العشاء فصلها في المسجد مع الجماعة، ثم لك أن تصلي التراويح مع الناس ولك أن تصليها في بيتك مع أهلك إن كنت قارئا أو قادرا على الاستعانة بالمصحف خلال التراويح، ثم خذ قسطك من

النوم والراحة لتتأهب لاستئناف يومك صائما عابدا مستقيما على الخير والبر والتقوى، واسأل الله القبول.

أيها المسلمون لنعول جميعا على قضاء هذا الشهر العظيم فيما يناسب من تلك الأحوال الربانية، والحياة الإيمانية. ولنجتنب في لياليه المشرقة كل دواعي اللهو والعبث والغفلة، فما أضل الذين يسهرون ليالي رمضان في المقاهي لاهين، أو في التجمعات الباطلة غافلين، أو في الألعاب والأغاني وحديث الباطل عابثين، أو في الشوارع والأزقة والشواطئ متسكعين! وأكثر من ذلك غيا وضلالا - والعياذ بالله - أولئك الذين يقضون ليلهم في المناكر والمحرمات منغمسين، ونهارهم في الفرش نائمين! ألا فاذكروا عباد الله أن الله عز وجل إنما شرع هذا الشهر للصيام والقيام، والتلاوة والذكر، واغتنام فرصة التوبة والغفران، وليس للهو والفجور، ولا للسهر على الأفلام الخليعة والمسلسلات الماجنة، والبرامج اللاهية عن الاستغفار والذكر والعبادة.

جعلني الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وهداني وإياكم لصالح الأعمال، وغفر لي ولكم ولسائر المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله له الفضل والمنة، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة توافق منهج الكتاب والسنة، وأشهد أن سيدنا محمدا

عبده ورسوله أكمل به الدين والملة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أهل التقوى والاستقامة.

أيها المؤمنون يقول الله عز وجل في محكم كتابه العزيز: "**إن المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**" (سورة الأحزاب 35/33).

فإذا شئت أيها المسلم المؤمن أن تكون من هؤلاء الذين أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما، وإذا كنت تريد أن يكون صيامك خالصا لله عز وجل، وإذا رغبت في أن يقبل الله منك عملك فيجزيك عليه بفضله وكرمه وجزيل ثوابه؛ فالزم الصدق في إيمانك، وليكن صومك حفظا لجوارحك كلها من المحرمات، ولنفسك من البطالات والضلالات، وللسانك من الرفث والصخب والجهالات.

ولتكن معاملتك للناس وأنت صائم أطيب وأهدى وألذ وأحلى من معاملتك لهم وأنت مفطر. وإن أساء إليك أحد بأي نوع من الإساءة فقابله بالعفو والصفح والتسامح، أو أعرض عنه وتذكر أنك صائم أي في عبادة مستمرة ووداعة إيمانية وحياة ربانية تترفع عن قول الزور والعمل به

وتحفظ الجوارح عن الفسق والرفث والفسوق والبهتان. وأكثر يا أخي من النوافل والمبرات، واحضر ما استطعت مجالس العلم والذكر، واحذر أن يجرك أصدقاء السوء والغفلة والتائهون الضالون إلى صرف أوقاتك في لعب الورق أو اغتياب الناس أو أي شيء يشغلك عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الصدقات وصلة الرحم واكتساب الحسنات وتكفير السيئات.

وإذا كنت يا أخي ممن ابتلوا ببعض المحرمات كعادة التدخين، أو باستعمال الجوارح في المعاصي كارتياد الأماكن المحرمة أو المشبوهة مع الضالين، فاتخذ رمضان فرصة سانحة للانقطاع عن ذلك والتوقف عنه والتوبة منه فإن الله "**يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون**"، وإن رمضان فرصة غالية جعلها الله ربانية رحيمة يستأنف بها العبد مرحلة جديدة من التقوى والاستقامة، والرشد والهداية.

فاللهم هيء قلوبنا ونفوسنا لحسن استقبال شهر الصوم الذي فرضته وعظمته، واهدنا إلى صيامه إيمانا واحتسابا، واحفظ جوارحنا من الضلالات والمنكرات والمبطلات، واجعلنا هداة مهتدين، وعلى صراطك سائرين، وبنبيك ﷺ مقتدين.

اللهم إنا نسألك إيمانا دائما، ونسألك قلبا خاشعا، ونسألك علما نافعا، ونسألك يقينا صادقا، ونسألك دينا قيما،

ونسألك العافية من كل بلية، ونسألك تمام العافية، ونسألك دوام العافية، ونسألك الشكر عن العافية، ونسألك الغنى عن الناس. اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير، اللهم الطف بعبادك المسلمين في مشارق البلاد ومغاربها، وانصر اللهم إخواننا المجاهدين الفلسطينيين، واهزم أعداءك أعداء الدين، اللهم فرق جمعهم واجعل بأسهم بينهم، وسلط عليهم نقمتك، فإنهم لا يعجزون قدرتك. وحرر اللهم القدس والأقصى وفلسطين، واجمع على ذلك كلمة المسلمين، ووحد صفوفهم، واهد قادتهم إلى ما يرضيك يا رب العالمين.

وانصر اللهم من قلدته في أرضك أمر عبادك، ووليته حماية دينك وحدودك، اللهم انصره نصرا تعز به الدين وتقهر به الفساد والمفسدين، وترفع به راية الحق المبين. اللهم أره الحق حقا وارزقه اتباعه، وأره الباطل باطلا وارزقه اجتنابه، وأقر عينه بولي عهده وجميع أفراد أمته، وشد عضده بأخيه.

اللهم إنا نسألك الأمن في البلد، والإصلاح في الولد، والعافية في الجسد، ونسألك اللهم أن تجعل خير أعمارنا أواخرها، وخير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم لقائك. اللهم أحينا مومنين، وأمتنا مسلمين محسنين تائبين طائعين لا مبدلين ولا مغيرين برحمتك ياأرحم الراحمين يارب العالمين.

عباد الله، إن الله وملائكته يصلون على النبيء، ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، اللهم صل وسلم وبارك على نبيك وعبدك وحبيبك محمد وعلى آل بيته الطاهرين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم احشرنا في زمرتهم، ولا تخالف بنا عن نهجهم وطريقهم يا أكرم ويا خير مأمول.

"ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا".

"ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين".

"سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين".

ويغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين.

الرابعة : خلفيات الإسراء وأبعاده التربوية والإيمانية

بعد الاستفتاح :

يقول ربنا الكريم تبارك وتعالى في سورة الإسراء: **"سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا، إنه هو السميع البصير"**.

بهذه الآية الكريمة أعلن الحق سبحانه وتعالى تأكيد معجزة الإسراء بعبده ورسوله وحبيبه محمد ﷺ في رحلة فعلية نقلته من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بالقدس الشريف. والتسبيح الذي استهلت به الآية تنزيه لله عز وجل عن العيب والنقص والعجز عن فعل شيء أو تغيير شيء. وإنما يقرأ المسلم هذه الآية ليكون على يقين تام بأن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، فبهذا اليقين تفهم معجزة الإسراء والمعراج، وليس إسراؤه ﷺ مجرد تحقيق للمعنى اللغوي للإسراء، الذي هو الخروج بالليل، ولكن معنى الإسراء هنا يتعدى ذلك المعنى اللغوي الظاهري، للدلالة على مشاهدات وخوارق تتجاوز المسافات الزمانية والمكانية التي نحسبها نحن البشر بقياسات محسوسة محصورة بمدة وقتية معينة، ومسافة ظرفية محدودة؛ مع ما يفيده الابتداء بالتسبيح من وقوف الإنسان دون ما قد يخالجه من وساوس تدير في خلده أسئلة محرجة مثل :

كيف اخترق محمد ﷺ تلك الآفاق ؟
كيف ارتقى فوق السحاب ؟
كيف قطع كل تلك المسافات في ذلك الوقت الوجيز ؟
كيف طويت له الأرض؟..

تجيب دلالة الابتداء بالتسبيح بأنها قدرة الله المنزه عن النقص والعجز، ويزرع هذا الابتداء في قلب كل مؤمن التصديق المطلق والإيمان العميق بالله ورسوله، فينطلق في معتقداته وسلوكاته من هذا الاعتقاد الراسخ.

وبهذه الآية الكريمة يعلن الحق سبحانه وتعالى للعالمين مقام هذا الرسول الكريم عند ربه، وشرفه وكرمه عنده سبحانه، فقد أحب الله عبده المصطفى محمدا ﷺ حبا ربانيا رحيما مناسبا لمقام النبوة الخاتمة، وابتهج الرسول الخاتم ﷺ بأن ينسبه ربه عز وجل إلى نفسه.

يذكر الإمام الرازي في التفسير الكبير أن النبي الأمين ﷺ لما وصل إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعارج أوحى الله تعالى إليه: "**يامحمد بم أشرفك ؟**" قال: "يارب أن تنسبني إلى نفسك بالعبودية. فأنزل الله فيه "**سبحان الذي أسرى بعبده**"، ثم أنزل سبحانه فيه: "**فأوحى إلى عبده ما أوحى**".

وأما اختيار الله الحكيم جل شأنه للمسجد الأقصى ليكون نهاية رحلة الإسراء ومنطلق رحلة المعراج ففيه دلالة عميقة على الربط بين القدس وبين آخر رسالات السماء إلى

أهل الأرض في شخص خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ باعتباره وارث الأنبياء السابقين، وباعتبار ملة الإسلام وارثة الملل السابقة على هذه الأرض وناسخة لجميع الديانات السابقة بما فيها اليهودية والنصرانية، ولذا جمع الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد ﷺ الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ليلتقي بهم في المسجد الأقصى ويصلي بهم إماما في مؤتمر إيماني حافل، سلم فيه الأنبياء السابقون الأمانة والخلافة والريادة والعهد والمسؤولية لمحمد ﷺ ولأمته من بعده إلى قيام الساعة.

إن الربط بين المسجدين متأصل ابتدأ منذ بنائهما معا على يد أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، والربط بينهما في هذه الرحلة المحمدية المعجزة فيه دلالة على ما ينبغي أن يحرص عليه المسلمون في كل عصر، من الحفاظ على هذه الأرض المقدسة وحمايتها من مطامع الدخلاء وأعداء الإنسانية، وكأن الحكمة الإلهية تهيب بالمسلمين في كل عصر، وفي عصرنا الحاضر بالذات، أن يتحملوا مسؤوليتهم في حماية القدس والذود عن الأقصى بشجاعة، وأن لا يجبنوا ولا يهنوا ولا يتخاذلوا أمام عدوان اليهود المعتدين على هذه الأرض المقدسة وتدنيسهم للمسجد الأقصى بنجاساتهم القومية والسلوكية، وأن يجاهدوا بكل ما أوتوا من قوة الإيمان وبجميع الوسائل وعلى جميع المستويات الرسمية والشعبية ليطهروها من رجس الصهاينة الآثمين ويعيدوها إلى حظيرة الإسلام وأحضان الإيمان وحكم المؤمنين، ولله در الشاعر إذ يقول :

يا أمة الفتح العظيم بقدسنا جا
ل اليهودُ ، فأين ذاك المُرهَفُ
عُدْ لي صلاحَ الدين، عُدْ لي مَرَّةً
فالقدسُ يملأها الظلامُ المُرْجِفُ

إذن لم تكن هذه المعجزة مجرد نزهة في عالم الغيب، ولا مجرد رحلة لملاقاة الأنبياء عليهم السلام، بل كانت حدثا ناتجا عن خلفيات مرتبة وسوابق مؤثرة، وكانت هادفة إلى غايات بعدية، وكانت استشرافا لمستقبل الدعوة الإسلامية الذي كان في علم الغيب عند الباري جل وعلا فأراد الله بهذه المعجزة الباهرة أن يؤشر له بجملة من الأحداث التي واكبت الرحلة الممتدة ما بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

فأما الخلفيات الممهدة للمعجزة فمن أبرزها أن النبي؟ قضى اثني عشر عاما يدعو الناس في مكة إلى تصحيح العقيدة ونبذ الشرك والضلال؛ وأن الوحي كان يتنزل ببيان العقيدة الصحيحة ومكوناتها، والربوبية الحقة وجدارتها، والإيمان الراشد وخصائصه؛ وأن هذا الوحي كان يتحدث عن سقوط الحضارات البائدة لضلالها وسلبياتها، وكان يحذر البشرية من تكرار الوقوع في أخطاء الغابرين، وكان يذكر بجهاد الأنبياء والمصلحين السابقين؛ وكان المسلمون مدعوين إلى الصبر والثبات. ثم فقدت الدعوة أعمدة لها في المجتمع المكي كانوا سندا لها، لكن أحد هذه الأعمدة كان يسند الدعوة حمية وهو أبو طالب عم النبي ﷺ، والثاني كان يسندها إيمانا واحتساباواحتضانا ورعاية

وهو خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فأحدث ذلك اضطرابا في مسار الدعوة وقسوة على رجالها، فكان ما عرف بعام الحزن وما حمله من مقاطعة للمسلمين وشدة في حالهم، ثم كانت الهجرة النبوية إلى الطائف حيث تجهمه قومها ثقيف ولقي منهم الرسول الكريم ﷺ عنفا وقسوة لم يكن يتوقعها قط، فلجأ إلى ربه داعيا متضرعا خاشعا بهذا الدعاء البليغ: "**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين يا رب العالمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك**".

هكذا كان الحبيب الرحيم يلجأ إلى ربه بمثل هذا التضرع الخاشع كلما ادلهم حال أو حزبه أمر.

فاللهم يا ربنا انتصر لنا كما وعدتنا، فإنك قلت وقولك الحق: "**وكان حقا علينا نصر المؤمنين، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله**"، اللهم فرحنا بنصرك، وأيدنا بروح منك، واغفر لنا بعفوك، إنك سميع مجيب، آمين،

والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

استفتاح

أيها الإخوة المؤمنون، إنه بعد الدعاء والتضرع يأتي الفرج: "**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**"، هكذا جاءت الدعوة الربانية الرحيمة تستجيب لدعاء الرسول الأمين ﷺ، وتنقذ العبد المستضعف المضطهد، وتقربه إلى ربه قربا، وتحمله مكرما في رحلة كريمة بعناية رب كريم؛ وهكذا انطلق به ملك الوحي، الأمين جبريل عليه السلام من بيت أم هانئ بجوار المسجد الحرام، وبسرعة (البراق) المعجزة وصل إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس فربط البراق بحائطه ودخل المسجد فوجد فيه الخليل إبراهيم والكليم موسى والكلمة عيسى في نفر من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قد جمعوا له فصلى بهم ركعتين، ثم أتي بإناء لبن وإناء ماء وإناء خمر فأخذ إناء اللبن وشرب منه فقال له جبريل عليه السلام: "**هديت وهديت أمتك**".

لقد سخر الله عز وجل لعبده وحبيبه من لوازم الرحلة والعناية والرفقة ما يفوق التصور البشري. ولا عجب فالله قادر مدبر حكيم "**إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**"، والمسافات الزمانية والمكانية التي تباعد بين السماوات والأرض وما فيهن ما هي إلا أزمنة الله عز وجل هو الذي خلقها وقدرها، وهو القادر على طيها ومدها، ولا يملك الزمان ولا المكان أن يعصي أمر الله رب الزمان ورب المكان ورب كل شيء وخالق كل شيء، والقادر

على كل شيء سبحانه. كما وظف لعبده وحبيبه قدرات مادية ومعنوية، وطوع له العلوم والمعارف، ومكنه من بلوغ المدارك الغريبة والأبعاد العميقة:

فالمرافق له في الرحلة الملك (جبريل) وليس حادي قافلة ولا ربان طائرة من البشر ذي الحواس المحدودة والقدرة المغلوبة !

ومطيته ﷺ في هذه الرحلة (البراق)، لا الجمل ولا الحصان ولا القطار ولا الطائرة! وليس صدفة أن يكون اسم الدابة التي كان بها الإسراء مشتقا من البرق الذي يوحي لفظه بالطاقة الكهربائية والومضة الخاطفة، فلعل الخالق البارئ جل وعلا حينما هدى الإنسان إلى اختراع الطائرات التي تفوق سرعتها سرعة الصوت والصواريخ عابرة القارات والمركبات الفضائية التي تجوب الآفاق العليا في سرعة فائقة، إنما أراد سبحانه أن يقيم لعقولنا القاصرة البرهان على إمكان الرحلة السريعة بالبراق، وأن ينصب لنا الدليل على نبأ الرحلة الذي أحدث في الناس صباحها بلبلة واضطرابا، فيكون العلم - حين يفتح الله فيه على الناس - معينا على إثبات صدق القرآن وما جاء به، وتقريب الإنسان مما هو عاجز عن إدراكه: "**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**" (سورة فصلت 53/41) ولكن مهما تقدم الإنسان في العلم ومهما تطورت أبحاثه وتأكدت نظرياته فإن الله أعلى وأعلم، وصدق القرآن أقوى وأقوم: "**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**" (سورة الإسراء 17/85).

ولكن لم لا يكون موضوع البراق محرضا للعقل الإنساني لكي يحرك قواه الذهنية ويوظف ذخيرته المعرفية لاختزال الزمن واختصار المسافات واختراع الآلات والتجهيزات التي توفر له الجهد والوقت ؟

ثم لم لا تحمل معجزة الإسراء تحفيزا لهذه الأمة أمة الريادة والرسالة، والأمانة على الدين والعلم ومسار الحياة البشرية لكي تعتبر بالماضي، وتهتدي في الحاضر، على ضوء هدايات الوحي، وتتطلع إلى المستقبل بكل ثقة وصبر ويقين وتؤدة وحكمة، بلا تعجل أو تهور أو تواكل، وبلا تقاعس أو تهاون أو تخاذل، بل تأخذ بالأسباب وتتزود من المعرفة وتنهج نهج الحزم والجد والمثابرة ؟

فاللهم ارزقنا إيمانا ويقينا ليس بعده ريب وكفران، اللهم إنا نعوذ بنور قدسك وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل آفة وعاهة، ومن كل شر ومؤامرة، ومن فتنة الدنيا، ومن شر الخلق؛ يا رحمان أنت غياثنا فبك نغوث، وأنت ملاذنا فبك نلوذ، وأنت عياذنا فبك نعوذ. يامن ذلت له رقاب الجبابرة، وخضعت له أعناق الفراعنة، نعوذ بك من خزيك وكشف سترك، ونلوذ بك من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ومن الفرقة في صفوفنا، ومن تسلط الأعداء الجبارين علينا .

حسبنا الله لديننا، حسبنا الله لما أهمنا، حسبنا الله لمن بغى علينا، حسبنا الله لمن كاد لنا بسوء، حسبنا الله ونعم الوكيل، وهو نعم المولى ونعم النصير.

اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزم أعداء الإسلام من اليهود والصهاينة وجميع المؤيدين لهم والمتواطئين معهم، وانصرنا يا رب عليهم بنصر من عندك، إنك أنت العزيز القهار .

اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتجمع بها أمرنا ، وتلم بها شعثنا ، وتصلح بها غائبنا، وترفع بها شاهدنا، وتزكي بها أعمالنا، وتلهمنا بها رشدنا، وترد بها الفتن عنا، وتعصمنا بها من كل سوء، لا حول ولا قوة إلا بك، أنت ناصر المستضعفين ومغيث المستصرخين، لا يعجزك تجبر المتجبرين ولا كيد الكائدين، وأنت تقول للشيء إذا شئت كن فيكون .

اللهم انصر اللهم من نصر الدين، واخذل من خذل المسلمين، إنك على كل شيء قدير، وأنت نعم المولى ونعم النصير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصل اللهم وسلم وبارك على نبيك وعبدك وحبيبك محمد وعلى آله، وارض اللهم عن الصحابة والتابعين، وارحم أموات المسلمين، واغفرلنا ولجميع المسلمين والمؤمنين، آمين، والحمد لله رب العالمين.

الخامسة : الخوف والخشية

الحمد لله كما ينبغي لعز جلاله، وجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمد لله كما نقول وخيرا مما نقول، الحمد لله حتى يرضى، والحمد لله إذا رضي، والحمد لله بعد الرضى.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره، وأستعينه وأستهديه وأستغفره، وأومن به وأتوكل عليه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، حذر من نفسه ودعا إلى خوفه وخشيته، ووعد الذين هم من خشية ربهم مشفقون بالسبق إلى الخيرات، وبشر من خاف مقام ربه ووعيدَه ونهى النفس عن الهوى بالجنة له مسكنا. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، وحبيبه وصفيه، ختم به الرسالات، وأكمل به الدين والعبادات، وأكرم أمته بجليل المكرمات؛ صلى الله وسلم عليه وعلى زوجاته الطاهرات، وعلى آل بيته أولي النهى والخيرات، ورضي الله عن الصحابة والتابعين أهل الفضائل والمبرات.

أما بعد فياعباد الله، اتقوا الله عساكم تفوزون، وأطيعوالله وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون، فإنه من يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون، ومن يعص الله ورسوله ويخش الناس من دون الله ورسوله فأولئك هم الخاسرون، "**إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي**

الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم" (يس 11/36)، ألا فالحرص الحرص أيها المسلم المومن على أن تكون من الذين يخشون ربهم بالغيب، ويخافون غضبه وعذابه؛ فلكَم دعانا القرآن الكريم إلى خشية الله، ولكم دعتنا السنة النبوية إلى الخوف من الله ولكم نجد في سيرة سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ من المواقف الهادية ما يحث على لزوم الخوف من الله والخشية من غضبه، فالله عز وجل يقول: "**إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون، والذين هم بآيات ربهم يومنون، والذين هم بربهم لا يشركون، والذين يوتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات، وهم لها سابقون**" (سورة المومنون 23/57-61) ؛ وفي بيان هذه الآية يروي الإمام أحمد والترمذي عن أم المومنين عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يارسول الله، قول الله تعالى: "**والذين يوتون ما آتوا وقلوبهم وجلة**" أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: "**لا يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق، ويخاف أن لا يقبل منه**". وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ : "**إقرأ علي القرآن**" قلت: يارسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: "**إني أحب أن أسمعه من غيري**"، فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: "**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا**" قال: "**حسبك الآن**"، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. هكذا كان رسول الله ﷺ أخوف الناس من الله، وأخشى الناس لله؛ ذلك أنه؟ كان أعرف الناس بالله. أفلا

يكون لنا في القرآن الكريم خير واعظ، أولا يكون لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة!!

أيها المسلمون: لقد اطمأن معظم الناس في هذا الزمان، وخلت قلوبهم من الخوف من العزيز الجبار، وناموا على الفرش الناعمة، ومالوا إلى الملذات والشهوات الفاتنة، وبذلوا قلوبهم والنفوس رخيصة من أجل الحطام الفاني والجاه الزائف والأماني الوهمية!

استحل البعض ما حرم الله فغرقوا فيه واستلذوه، وكره البعض ما أحل الله فصدوا عنه واستقلوه، وسكن الوهن منهم القلوب، وابتعدت عن ربها النفوس!! حتى بحت أصوات الدعاة من التوجيه والإرشاد، وصار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمرا مستغربا، وأضحت كلمات الخير والإصلاح مستنكرة!!

ألا وإن المومن المهتدي يجمع بين الإحسان إلى نفسه باستقامته، والخشية من ربه بطاعته؛ وإن العاصي الضال يجمع بضلاله بين الإساءة لنفسه، ووهم الأمن بمعصيته؛ وإن المخلوق إذا لم يخفق قلبه بذكر خالقه فليعلم أن بنفسه داء الكبر، وبقلبه مرض القسوة، وأنه محتاج إلى تطهير نفسه من ذلك الكبر وتليين قلبه من تلك القسوة. والناس -كما قال أحد الفضلاء- سائرون على الطريق ما لم يَزُل عنهم الخوف، فإن زال الخوف عنهم ضلوا الطريق. أما وقد زال الخوف عن أكثر الناس اليوم وقست قلوبهم وابتعدوا عن الخشية الرادعة عن الباطل،

والخوف الموجب للالتزام بالحدود الشرعية، فإن المسلم الغيور ليتساءل: هل من سبيل قويم ناجع ينقذ هذه الأجيال من صلابة القلوب وقسوتها، ويعود بها إلى لينها وخشوعها، ومن زيف أخلاقها وضلال منهجها إلى رشدها واستقامتها؟؟ فكيف يجلب الواحد منا إلى قلبه شعور الخوف من الله ؟؟

إن خشية الله لا تتحقق في النفوس ولا تغرس في القلوب إلا بالعيش مع رب العزة سبحانه بجميع الجوارح والطاقات؛ وإن العيش مع الله يقتضي معرفته، ومعرفة الله إنما تتأتى بالعلم والإيمان، وبالطاعة والامتثال، وبالدعاء والتضرع، وبالتفكر والتدبر؛ مع التقيد بحدود الشرع: فتؤتى الأوامر وتطبق، وتترك النواهي وتجتنب، ويعتاد الرجوع إلى الله والإنابة، ويكثر من الاستغفار والتوبة، وتذكر أهوال الموت وفجاءتها، وظلمات القبور وسؤالها، والبعث والقيامة وأهوالها. فتلك أمور عامة.

ولو شئنا شيئا من التفصيل والبيان، فهذه أعمال ستة قيمة هادية إن شاء الله إلى غرس الخوف من الله في القلوب:

الأول وهو الجامع لكل ما يليه، أن نتدبر كلام الله العلي العظيم، وتأمل الحديث الشريف، والنظر في السيرة النبوية الطاهرة، فالرسول ﷺ سيد المتقين، وأعلم الخلق برب العالمين، وأشدهم خشية للواحد الحق المكين.

والثاني التفكر في عظمة الخالق القوي الكريم، انطلاقا من مثل قوله تعالى: "**وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون**" (سورة الزمر 67/39).

الثالث تذكر الموت وشدته، واستحضار أنه لا مفر منه، وقد يأتي في أي حين: "**قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**" (سورة الجمعة 8/62).

الرابع التفكر في القبر وعذابه وهوله وفظاعته؛ قال رسول الله ﷺ : "**ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه**"[1].

الخامس التفكر في القيامة وأهوالها: "يأيها الناس اتقوا ربكم، إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد" (سورة الحج 1/22-2).

السادس التفكر في النار وشدة عذابها وخطر شأنها وما أعد الله عز وجل لأعدائه فيها.

وحيثما قيل (التفكر) فالمعنى استحضار ذلك في القلب وتكراره عليه حتى يعطي ثمرته المقصودة، وهي التقوى المتمثلة في فعل الطاعات وترك المعصيات.

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك 366/4 ح 7942 وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه، كما رواه أحمد في المسند 63/1 ح 454 بتحقيق أحمد شاكر.

عباد الله، إن الخوف من الله يقوم في النفوس اعوجاجها فتستقيم على الخير والفضيلة، ويهذب الجوارح كلها فلا تتطلع إلى المكاره والأشياء الممنوعة، ويجعل عمل الأفراد صالحا خالصا مخلصا؛ ويجعل المرء يشتغل بنفسه فيراقبها ويحاسبها ويكبح جماحها. وبالخوف من الله وخشيته فيصلح للمجتمعات أحوالها، وتتحقق للأمم سعادتها وازدهارها، ويسود الأمن والاطمئنان بين أفراد المجتمع، وينتشر الحق والخير، وتنشغل الأمة عن التوافه والأباطيل بالعظائم العالية والمطامح الرفيعة. وإننا اليوم ونحن على ما نحن عليه من أحوال وصفات وأخلاق.. ما أحوجنا إلى هذه الإيجابيات التربوية والصفات البانية التي تنتجها خشية الله تعالى.

وإن الله الحليم الكريم، الودود الرحيم قد هيأ لعباده الخائفين الخاشعين من الجزاء أوفاه، ومن السعادة أهنأها، ومن الخير أعظمه، ومن الجنة نعيمها، ومن الرضى أتمه: قال تعالى: "**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشي ربه**" (سورة البينة 7/98-8)، ووصفهم الباري جل وعلا بأنهم هم الفائزون مع الطائعين والمتقين: "**ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**" (سورة النور 50/24)؛ وهذا هو الفوز الحقيقي في الحياة الأبدية الدائمة، لا الفوز المرهون بمال فانٍ في الدنيا، ولا المربوط بمنصب زائل

سرعان ما يبلى!! ووعد الحق سبحانه وتعالى الخاشعين بالمغفرة والأجر الكبير: "**إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير**" (سورة الملك 12/67) ؛ وحدثنا الصادق المصدوق ﷺ أن الذي تفيض عيناه بالدمع خشية لله وخوفا منه وخشوعا وهو بعيد عن الناس مختل بنفسه، يظله الله مع السبعة الذين يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فقد ذكر ﷺ في هؤلاء السبعة "**رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**".

أيها المسلمون، لو تأملنا حالنا وحال الملائكة المقربين لوجدناهم أخوف وأخشى ومنهم الغلاظ الشداد المعصومون الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومع ذلك نراهم أشد خوفا وأكثر خشية:

أخرج الطبراني في الأوسط، أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ في حين غير حينه الذي كان يأتيه فيه. فقام إليه رسولَ الله ﷺ فقال: ياجبريل، ما لي أراك متغير اللون؟ فقال: ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار! فقال رسول الله ﷺ: ياجبريل، صف لي النار - أو قال: انعت لي جهنم - فقال جبريل: إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت ؛ فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يُطفَأ لهبها! والذي بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب إبرة فُتح من جهنم لمات من في الأرض كلهم جميعا من حره؛ والذي بعثك بالحق لو أن خازنا من

خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا لمات من في الأرض كلهم جميعا من قبح وجهه ومن نتن ريحه؛ والذي بعثك بالحق لو أن حلَقة من حَلَق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وُضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى! فقال رسول الله؟: حسبي ياجبريل لا ينصدع قلبي فأموت!! قال: فنظر رسول الله؟ إلى جبريل وهو يبكي، فقال: تبكي ياجبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به؟؟!! فقال: وما لي لا أبكي وأنا أحق بالبكاء، لعلى أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها، وما أدري لعلي أُبتلى بما ابتُلي به إبليس، فقد كان من الملائكة! وما أدري لعلي أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت! قال: فبكى رسول الله؟ وبكى جبريل فما زالا يبكيان حتى نوديا أن ياجبرٌيل ويامحمد، إن الله تعالى قد أمنكما أن تعصياه. فارتفع جبريل، وخرج رسول الله؟ فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال: أتضحكون ووراءكم جهنم!! فلو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أسغتم الطعام والشراب، ولخرجتم إلى الصُعُدات تجأرون إلى الله عز وجل!! زيد في بعض الروايات: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين (أي بكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الأنف)؛ فنودي: يامحمد، لا تُقنِط عبادي، إنما بعثت مبشرا ولم أبعثك معسرا!! فقال؟: "سددوا وقاربوا".

نعم أيها المسلمون، كذا ينبغي أن نخشى الله، ونخشى الله وحده ولا نخشى أحدا إلا الله، وكذا ينبغي أن لا يخيفنا أي مخلوق في الحق، ولا يرعبنا أي متسلط فيصرفنا عن أداء رسالتنا في الحياة: "**الذين يبلغون رسالات الله**

ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله، وكفى بالله حسيبا" (الأحزاب 39/33)، فكل ميسر لما خلق له، والله يعصم عباده المومنين المخلصين من كيد الكائدين وعدوان المعتدين؛ وصدق الله العظيم إذ يقول: "**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون**" (سورة البقرة 2/154-156).

فاللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الإخلاص في الرضى والغضب، ونسألك القصد في الفقر والغنى، ونسألك قرة عين لا تنقطع، ونسألك الرضا بالقضاء، ونسألك برد العيش بعد الموت، ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة؛ اللهم زينا بالإيمان، واجعلنا هداة مهتدين. اللهم إنا نسألك الفوز في القضاء، ونزل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء؛ اللهم ياقاضي الأمور، وياشافي الصدور، كما تجير من في البحور، أجرنا من عذاب السعير، ومن دعوة الثبور، ومن فتنة القبور. اللهم يا ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد، نسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود، الركع السجود، الموفين بالعهود، إنك رحيم ودود، وإنك تفعل ما تريد.

اللهم اجعل بلدنا هذا بلدا آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين، وانصر اللهم قادة المسلمين، المخلصين منهم والعاملين، وأعن إخواننا المجاهدين المسلمين في كل مكان، وارحم يارب شهداءهم، واجعلهم عندك مع المقربين، مع الذين أنعمت عليهم من النبيؤين والصديقين والشهداء والصالحين، وارحم أموات المسلمين أجمعين.

وانصر اللهم أمير المؤمنين، وأيده وأقر عينه بولي عهده وكافة أفراد أسرته وشعبه، وشد عضده بأخيه، واجعل صلاح هذه الأمة ووحدتها ورفعتها على يده.

وصل اللهم وسلم وبارك على نبيك وعبدك وحبيبك محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، واجزه اللهم خير ما جزيت نبيا عن أمته، وارض اللهم عن الصحابة والتابعين أجمعين؛ اللهم احشرنا في زمرتهم، ولا تخالف بنا عن نهجهم وطريقهم ياأكرم مسؤول، وياخير مأمول. ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، ويغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

ملحق 3

مصادر ومراجع مفيدة حول الجمعة والخطبة

أ. المصادر

- البخاري : الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، وينظر أيضا كتاب التفسير، باب إن هو إلا نذير لكم، باب وأنذر عشيرتك الأقربين.

- مسلم : الصحيح، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة 404/6/3.

- أبو داود : السنن 287/1، بعون المعبود 446/3.

- النسائي : المجتبى 53/3، 74/6.

- ابن ماجة : السنن/610.

- أحمد : المسند 310/3، 267/4-268.

- ابن القيم : زاد المعاد 186/1، 373، 424.

- الصالحي : سبل الهدى والرشاد 222/8.

- السيوطي : الدر المنثور 222/6.

- السيوطي : اللمعة في خصائص الجمعة.

- ابن برهان : السيرة الحلبية 285/1.

- الطبراني : المعجم الكبير.

- الهيثمي : مجمع الزوائد 188/2.

- البيهقي : شعب الإيمان، الأسماء والصفات.

- القرطبي : تفسير القرآن العظيم 98/18.

- الشافعي : المسند 148/1.

- الطبري : التفسير 74/8 ؛ التاريخ.

- الألوسي : تفسيره 135/7.

- ابن كثير : البداية والنهاية.

- ابن هشام : السيرة النبوية 373/1.

- محمد الحجوي الثعالبي : الفكر السامي 110/1.

- الشوكاني : نيل الأوطار 282/3.

(ب) المـراجـع

- محمد أحمد طاحون : مرشد الدعاة إلى الله.

- محمد عزالدين توفيق : ملامح خطبة الجمعة عبر التاريخ.

- محمد سلامة : خطبة الجمعة وقضايا العصر.

- وهبة الزحيلي : الفقه الإسلامي وأدلته.

- يوسف القرضاوي : خطب الشيخ.. إعداد الشيخ خالد السعد.

- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية : الخطب المنبرية : 1413.

- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية : خطب الجمعة لعهد الاستقلال بالمغرب.

- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية : خمس وعشرون خطبة من ديوان خطب الجمعة، للشيخ المكي الناصري.

- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية : الخطب المنبرية : 1404.

- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية : الملتقى العالمي الأول لخطباء الجمعة : فاس رجب 1407/مارس 1987.

- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية : الملتقى العالمي لخطباء الجمعة : الدورة الثانية : مراكش شعبان 1413/يناير 1993.

- المجلس العلمي الإقليمي لولاية لدار البيضاء الكبرى : الدورة التدريبية لخطباء الجمعة : ربيع الأول 1414/فبراير 1994.

فهرس المحتوى

المقدمة 3
مدخل : 13
الخطبة في الإسلام 15
ـ تسمية الجمعة وجمع المسلمين على صلاتها 22
ـ خطبة الجمعة وأهميتها 23
• المنهجية والقصد في خطبة الجمعة : 27
ـ المنهجية وخطبة الجمعة : 29
تعريف المنهج وضرورته 29
منهج خطبة الجمعة 31
ـ العبرة بالمقاصد : 33
مقاصد خطبة الجمعة 34
* الذكر 34
* التذكير 35
* الوعظ 36
* الترقيق 37
* التوجه والمدارسة 38
• الدائرة الخضراء : 41
ـ تقوية الإيمان والثقة 41
ـ تصحيح الأوضاع العامة 41
* الاجتماعية 41
* الاقتصادية 45
* السياسية 46
ـ معالجة هموم الأمة 48
ـ غيوم قاتمة 49
• المحجة البيضاء : 51
ـ التأسي بالمنهج النبوي 53

ـ الالتزام بالضوابط الشرعية 60
ـ التطور والتجديد والمسايرة 62
• **خصائص خطبة الجمعة :** 65
ـ من حيث مصدرها 65
ـ من حيث غايتها 69
ـ من حيث طبيعتها 71
ـ خصائص أخرى 72
• **الأبعاد التربوية لخطبة الجمعة** 75
ـ عملية التربية ومكوناتها 77
ـ مصادر معرفية ضرورية 79
ـ شروط سلوكية فاعلة 80
ـ الخطبة التربوية إنقاد وإسعاد 81
• **الأبعاد الاجتماعية لخطبة الجمعة :** 85
ـ حقيقة المجتمع وواقعه 87
ـ حاجة المجتمع دائمة إلى الخطبة الموجهة 90
ـ الإعلام وخطبة الجمعة 94
ـ أبعاد واضحة محفزة 96
• **كلمة** 99
• **ملاحق** 103
ملحق أول : أول خطبة جمعة للنبي ﷺ 105
ملحق ثان : نصوص خطب نموذجية لاستئناس : 107
ـ الأولى : خذ العفو وامر بالعرف 107
ـ الثانية : الأمة الأسلامية مقوماتها ومهامها 118
ـ الثالثة : كيف يستقبل المسلم شهر رمضان 126
ـ الرابعة : خلفيات الإسراء وأبعاده التربوية والإيمانية 134
ـ الخامسة : الخوف والخشية 143
ملحق ثالث : مصادر ومراجع مفيدة 153
• **فهرس المحتوى** 157

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء